

روايات مصرية للجيب



ماوراء الطبيعة

أسطورة النداهة



روايات مصرية للجيب

٣٣٣٩

ما وراء الطبيعة
روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

أسطورة النداهة

هل تسمعون هذا الصوت العميق
الساحر القادم من المجهول ... ؟!
دعوني ألق به ... ، ستقول أمهاتكم إن هذا
هو صوت النداهة وأن ما من إنسان لباه إلا
واختفى كل أثر له .. ، ستقول زوجاتكم إن هذا هو
صوت النداهة .. الغول المتكرر في صورة فتاة حسناء تغري
الرجال باللاحاق بها ... ، ستقول أخواتكم ... لا ...
لا تذهبوا ... لا تصدقوا هذا الكلام .. تعالوا معي
إلى الحقول المظلمة في قرى محافظة الشرقية ..
تعالوا نلبي هذا النداء .. ، وإذا ما فقدتم
حياتكم فلا تجربوا أحدًا بأننى من
دعائكم إلى النداهة !!

المؤلف



د. أحمد خالد توفيق

العدد القادم : أسطورة وحش البحيرة

التمن في مصر

هـ

وما يعادله بالدولار
الأمريكي في سائر
الدول العربية

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
١٠ شارع لاس فيغاس بالقاهرة - ت ٩٠٨٤٥٥

٢

روايات مصرية للجيب
ماورا، الطبيعة
أسطورة النداهة

روايات مصرية للجيب

ماورا، الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

مصنّف مصري مائة في المائة
لا تشوبه شبه الترجمة أو الاقتباس
أو النقل عن أية قصص أوربية .

مراجعة لغوية

الأستاذ/محمد شفيق عطا

إشراف

الأستاذ/حمدي مصطفى

جميع الحقوق محفوظة للناشر
وكل اقتباس أو تقليد أو تزيف
أو إعادة طبع بالتزوير يعرض
المرتكب للمساءلة القانونية .

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع - المطابع ٨ ، ١٠ شارع ٧ المنطقة الصناعية
بالعباسية - المكبات ١٠ - ١٦ شارع كامل صدق الفجالة - ٤ شارع الإسماعيل بن مشيخة البكري روكسي
مصر الجديدة - القاهرة ٨٢٦٢٨٠ - ٩٠٨٤٥٥ - ٢٥٨٦١٩٧ فاكس - 202/2596650 ج.م.ع

٢

ما وراء الطبيعة
روايات تحبس الأنفاس
من فرط القموض والرعب والإثارة

أسطورة النداهة

بقلم:

د. أحمد خالد توفيق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
١٠ شارع مصر، القاهرة ١١٥٥٥

ماورا، الطبيعة



أسطورة الندامة

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع

١٠ شارع لامله صلالة بالبحر - القاهرة - ت. ٩٠٨٤٥٥

مقدمة ..

الاسم : د . رفعت إسماعيل .
السن : ستة وستون عامًا .
المهنة : أستاذ أمراض الدم (سابقًا) بعدد لا بأس به من
الجامعات في مصر وأوروبا وأمريكا .
الحالة الاجتماعية : أعزب .

لقد عشت حياة حافلة أنقب فيها في كل مكان عن
أساطير الحياة التي ورثناها عن أجدادنا وأثارت رعبنا كما
أثارت رعبهم ... واجهت الكونت (دراكيولا)
و (الزومبي) ودخلت قلعة د . (فرانكنشتاين) وتعرضت
للعنة الفراعنة ولعبت بأوراق التاروت وغير ذلك الكثير ..

وقبل أن يحين الأجل أو يقضى تصلب شرايين المخ على
ذاكرتي آثرت أن أكتب حكاياتي كي يعرف الشباب أي
محارب للخرافات والخزعبلات كنته في حياتي ..

واليوم سأحكي لكم حكايتي المريرة مع رعب القرى
المصرية العتيده .. (النداهة) .. ولن أكرر نفسي ..

لا تقرأوا هذه الصفحات إلا نهارًا وبين أحباكم ..

إن الليل والوحدة يثيران الخيال .. وأنا أعرف هذا جيداً
لأنى عانيت منهما كما لم يعان أحدكم ..، ولهذا - ولهذا
فقط - أوصيكم ألا تقرأوا هذه الأوراق وحدكم ليلاً ..
انتظروا شمس النهار .. ودفء الصحبة الآدمية .
لقد نصحت .. وقد أعذر من أنذر !! ..



١ - العودة ..

قريتى أخيراً!..
قريتى العجوز الطيبة حيث كانت طفولتى ومراهقتى
قبل أن أنتقل إلى القاهرة كي أدرس الطب وأقيم هناك ..
لم يتبدل شيء ..
البيوت الطينية .. الساقية .. المسجد الذى تأكلت
جدرانها .. الترعة الراكدة .. النخلة المائلة فوق حائط
الكتاب .. الأطفال الحفاة يلعبون ألعابهم البدائية وقد تدلى
المخاط من أنوفهم ..
وكنت أنا فى سيارة أجرة .. واحدة من تلك السيارات
العتيقة التى لا تصلح إلا للسقوط بزكبيها من الفلاحين
التعساء فى الترعة ، لم تكن سيارتى لتتحمل هذا الطريق
الوعر ؛ لذا تركتها فى القاهرة ..
ثمة فلاح عجوز متشكك يجلس جوارى وترتفع شفتاه
بآيات قرآنية طويلة الوقت ، وكل ثلاث دقائق يهتف فى
السائق :

- بالراحة يا (صالح) !.. هى الدنيا طارت ؟!..
فيضحك السائق فى فظاظة ، ويرفع عقيرته بالغناء
بصوت أجش (لم تكن أجهزة كاسيت السيارات منتشرة فى
ذلك الوقت لحسن الحظ) ، وتزداد سرعة العربة أكثر !..

وعلى جانبي الطريق يتوقف الفلاحون عن العمل في
حقولهم ليروا ما هنالك وقد ضيقوا عيونهم - من أثر الغبار
والعرق - مؤكدين حقهم الإلهي في التدخل فيما لا يعنيههم ..
إلى أن يقول أحدهم في ذكاء واضح :

- هذا (صالح) !

- لقد عاد إذن !

ويواصلون عملهم .. ويواصل العجوز قراءة القرآن ..

★ ★ ★

قريتي أخيرًا ! ..

هي إحدى قرى محافظة الشرقية على مسافة قصيرة
من (فاقوس) واسمها (كفر بدر) .. هل تعرف هذا
الاسم ؟! .. لا أظن .. هل ستذكره ؟! .. لا أظن ..

إنه اسم آخر من تلك الأسماء المتشابهة التي يزخر بها
ريفنا الطيب والتي لا يعرفها ولا يهتم بها سوى أبناء
قراها ..

من هذه القرية الصغيرة صرت أحد أساتذة أمراض الدم
المرموقين وعضواً مرغوباً فيه في كل منتدى علمي في
العالم .. وصديقاً لكل علماء الدم في الأرض ..
ليس هذا غروراً ولكنه اعتراف بفضل هذه القرية
الفقيرة على ..

واليوم أعود إليها بعد انقطاع ، شاعرا بحاجة النبات
إلى جذوره ..

نظرات الأطفال الفضولية تلاحقني ، والحسناوات
المراهقات يختلن إلى الطرف ثم يلكز بعضهن البعض في
دلال مرح ..

لا أحد يذكرني تقريبا .. لا أحد ..



ووصلت إلى دارنا .. الدار الحنون التي عشت فيها
أجمل أيامي ، وهي - كأغلب بيوت القرية - مصنوعة من
الطين اللبن ، مصطبة عند مدخلها فوقها مصباح جاز
مشروخ .. ثم الباب الخشبي العملاق .. والفسحة التي
يمرح فيها البط والدجاج يتسلى بالنقاط الحشرات من
الأرض الطينية الزلقة ، وحجرة على يمين الداخل ..
والفرن العتيق .. ثم درجات طينية منحوتة كيفما اتفق
تصعد إلى الطابق العلوي حيث السطح بما عليه من أكوام
تبين وأقراص من روث العاشية معدة لتجف .. وجوارها
حجرتي .. وبالطبع لم تكن الكهرباء قد وصلت قريتي في
ذلك الوقت ..

على الباب تتحننت .. ثم دخلت وألقيت نظرة على العنز
الصغيرة التي أخذت ترمقني في دهشة .. ، سيدة عجوز

جالسة وأمامها طشت نحاس كبير ملىء بالأرز وقد
شرعت تنقيه .. وجوارها شابة حسناء منهكة في تنظيف
طفل صغير عار تمامًا ..

رفعت العجوز عينيها الذابلتين لأعلى فرأتني ..

- ابني ... (رفعت) .. !

- أمي .. !

وارتميت في أحضانها وقبلت يديها في نهم .. اليدين
المعروقتين العزيزتين .. في حين شرعت الشابة تعانقني
من الخلف دامعة ويداه مبتلتان بعد ..

- أخي .. !

يا للحنان .. ويا للفرقة ! أبدًا لم أتلق في حياتي قبلات بلا
ثمن وصداقة إلى هذا الحد من أية امرأة إلا من أمي
وأختي ، وأبدًا لم يبك إنسان بصدق حين يراني إلا هاتين
العزيزتين ، لكنني لم أفطن أبدًا قبل تلك اللحظة إلى ما هما
فيه من فقر وبؤس حال .. ، دائمًا كانت هذه المعالم التي
تحيطهما حقيقة مسلمة في عيني إلا أن فترة غيابي عنهما
جعلتني أفطن إلى أن من واجبي أن أوليها عناية مادية
أكثر ..

إننى - الآن - قادر على أن أبني لهما بيتًا من الطوب ..
وأن أوفر لهما الكثير من سبل الراحة التى هما جديران
بها ..

لكن شيئًا فى عيني أُمى جعلنى أؤجل التفكير فى ذلك ..
إن حساسيتها الزائدة لن تعتبر اقتراحى بَرًا بأهلى بل
سترى فيه لوئًا ما من تعالى على بيئتى ، إن فكرة إقامتى
وحيثًا بالقاهرة وسفرى للخارج مرارًا لا تفارقها .. وهى
تؤمن إيمانًا مطلقًا لا يتزعزع أننى - لابد - قد تغيرت ،
وهى تنتظر أول تلميح منى كى يتحطم قلبها ..
نعم .. لئرجى هذا الحديث الآن ..



كانت عودتى - للأسف - وبالأعلى على الطيور بالدار ...
مذبحة دامية قامت بها أختى .. وتم إعداد مائدة هائلة لى
فى حين أخذت أُمى تدير (العملية) كجنرال فى حرب يعرف
تمامًا كيف يكسبها ... رحمها الله كم كانت بأسلة نشيطة ..
وجالسًا كهارون الرشيد على الطبلية بين أكوام الرقاق
واللحم واللبن الرائب والخبز والفطير ، أدركت أن على أن
ألتهم كل هذا عن آخره وإلا تحطم قلبا هاتين العزيزتين !
وأُمى - ككل أم مصرية - تؤمن أن صحة ابنها ليست على
ما يرام فى أية لحظة تراه فيها ، وتؤمن أن الأكل هو
العلامة الوحيدة الموثوق بها على الصحة ، ثم هى
- طبعا - ترى أننى تأخرت فى الزواج إلى حد مرعب ..

- كم أتمنى أن أطمئن عليك مع زوجتك ، هي التي
ستعرف كيف ترعى صحتك وطعامك ... !
أه يا للنعمة الأليمة .. !

كنت أنا وقتها قد بدأت أشعر بالوحدة وبترك الغريزة
التي يستشعرها الواحد منا فيرغب أن يكون اثنين ثم ثلاثة
ثم أربعة وهكذا ... ، لم يكن قلبي يختلف عن قلب البواب
والسباك وبائع الجرائد .. تلك الحاجة الملحة إلى رفيقة
ترب تنتظرك عند عودتك ليلاً وتودعك عند ذهابك
صباحاً ..

رحمك الله يا أمي ! .. كيف لو عرفت - وكيف لو عرفت
أنا - أنني سأصل إلى سن السادسة والستين وحيداً ، ولم
يكن في توقعي أنني سأرى كل هذا الذي سأراه وأننى
سأقضى زهرة عمري بين مصاصي الدماء والمسوخ حتى
لا يبقى لدى وقت ولا متسع من عاطفة يسمحان لى بأن أجد
فتاة لطيفة تشاركنى حياتى ..

ابتلعت قطعة اللحم التي كنت ألوکها .. وغفمت :

- ربنا يسهل !

ونظرت لوجهها الودود الطيب كيف لو عرفت ما مررت
به فى انجلترا وفى رومانيا ؟ .. لو عرفت لماتت هلعاً ..
ولأقسمت أن أظل فى كنفها آمناً حتى يموت واحد منا ..

مددت يدي أداعب ذقن الطفل العارى الذى أنا خاله ..
وسألت :

- كيف حال (طلعت) زوجك يا (رنيقة) ؟
- بخير .. سيعود ليلاً ..

غمست لفتى فى القشدة وطوحتها لفتى .. وواصلت
الاطمئنان :

- وما أخبار (رضا) ؟!

و (رضا) - إن كنت لاتعلم - هو أخى ، وهو فلاح أثر
أن يرعى أرضنا فى القرية ويقيم مع زوجته فى الناحية
الأخرى من البلدة لأن زوجته العصبية المتعالية لم ترد أن
تعيش مع أمى وأختى ...، مرت دقائق فطنت بعدها إلى أن
واحدة منهما لم تجب عن سؤالى ..
- أقول .. ما أخبار (رضا) ؟

نظرة ساهمة فى عيني أمى .. ودمعة متجمدة فى عيني
أختى وهى تحاول تجاهل السؤال بالتشاغل بإطعام
طفلها .. ماذا حدث ؟!

- أمى .. ماذا حدث ..؟

وجدت أمى ألا مفر من الإجابة عن سؤالى فنظرت
لعيني وهمست :

- رعاہ اللہ وحفظہ ..
- ماذا؟.. هل .. هل هو مريض ؟.. هل تورط في مشاكل ما ؟.. إن (نجاۃ) زوجته ..
- لا تتهم أحداً يا بنی .. إنها إرادة الله ..
- إئن ماذا حدث ؟..
- أنهضت أختی ابنها من علی حجرها .. وهمست :
- (رضا) .. نائتہ النداهة ..



٢ - أسطورة جديدة ..

النداهة؟! .. بالذكريات التي تثيرها هذه الكلمة
عندى ...!.. حكايات جدتي لنا جوار القرن ونحن بعد صبية
صفار نصفى لقصصها بعيون مفتوحة وأفواه فاغرة...،
قصة تلك الشابة الحسناء التي تسير فى الحقول ليلاً تنادى
الشباب - الذكور طبعا - كي يلحقوا بها .. ويهرع الشباب
إلى أحضانها ، وهذا تتحول إلى حقيقتها .. غول مرعب
شرس يفترس الفتى فلا يسمع عنه أحد بعدها ..
لكن أرقتنا هذه القصة ..!، ولكم تخيلنا تفاصيلها
الشيعة فى مئات الصور المرعبة ، وما زلت - بعد كل هذه
السنين - أذكر صوت جدتي الخشن الخفيض يردد فى حزن
ذلك الموال :

فإن الولد يامه ؟	قالت نسي أهله
فات البلد لما	الغولة نادت له

★ ★ ★

فإن الولد يا ولاد ؟	قالوا الولد مسحور
سافر وراها بلاد	وأدى السنين بتدور

يالها من قصة! .. واليوم تبعث هناك من فصوص
مخى الخلفية .. والغريب أنها تعود إلى فى هذا الوقت ..
ومع أخى بالذات! ..

- هل .. هل تعنين النداهة ؟

- نعم ! ..

- النداهة .. المرأة التي تنادى الشباب و ... ؟

- نعم .. زين الشباب ..

أقيت باللقمة التي في يدي على الطبلية ، ونهضت في

حنق :

- ماذا تعنين بهذا الكلام الفارغ ؟!

قالت أمي بعين دامعة :

- أقسم على هذا .

- ولكن لا يوجد شيء كهذا ..

- يوجد يا بني .. يوجد .. هل نسيت كلمات جدتك أم أن

الإقامة في مصر قد جعلتك تنسى كل شيء ؟!

آه .. يا لهذه النعمة التي كنت أخشاها ..! ، مرة أخرى

تذكرني أمي أنني تغيرت حتمًا ، وأنتى أعتقد أنني أكبر

وأفضل من كل معتقدات أهلى .. وهذا - بالطبع - ليس

صحيحًا .. لا يجب أن أظل مؤمنًا بالغولة والنداهة

والحطمة لكي أثبت لهم أنني لم أتغير ..

- حسن .. كيف نادته ؟

- نادته .. وهذا كل شيء ..

- وهو .. هل هو موجود أم ماذا ؟! .. هل اختلفى ؟!

- إنه فى بيته .. لكنه تغير .. لم يعد يكلم أحداً ، ولا يأكل ولا يشرب ..

- لكن هذا لا يدل على شيء ..

- إنه ينتظر نداءها الثانى ليلحق بها للأبد ..

يا للجنون !.. الهراء الذى يطاربنى فى انجلترا ورومانيا وحتى هنا فى قريتى حيث ظننت أنى سأنال بعض الراحة النفسية ... يجب أن أحقق فى الموضوع بهدوء ودون انفعال ، يجب ألا أسمح لنفسى أن أصرخ فى هاتين البائستين ..

- حسن ..

قلتها فى استسلام .. وأردفت :

- أريد أن أراه فهل هذا مسموح به على الأقل ؟

★ ★ ★

ذهبت لدار أخى المصنوعة من الطوب الأحمر وعلى بابها كفوف مفتوحة حمراء لمنع الحسد مع بعض العبارات التى تحاول طرد الحاسدين .. وقرعت الباب فى حزم ..

انفتح الباب عن زوجة أخى بوجهها الصارم المتعالى ، وما إن رأتنى حتى رسمت ابتسامة قاسية على شفتيها .. ورحبت بى فى فتور :

- أهلاً يا دكتور .. الحمد لله على السلامة ..
وقادتني للداخل .. وكان هناك ثلاثة أطفال يلعبون في
صحن الدار توقفوا عن اللعب ، وأخذوا يرمقونني بعيون
فضولية واسعة ..

- هيا يا أولاد .. سلموا على عمكم ..
امتد كفان صغيران يضافحاني في حين توارى الثالث
في خجل مذعور برغم لوم والدته له ، تمتمت ببعض
كلمات الإطراء على نمو الأطفال وظرفهم .. ثم سرت
خلفها إلى غرفة النوم ..

هناك - على الفراش - كان جالساً .. (رضا) أخى وقد
انثنى على نفسه منطوياً .. وكان الليل قد بدأ يحلّ مما
جعل الرؤية عسيرة نوعاً ..

- (رضا) .. لقد جاء أخوك الدكتور (رفعت) .. هيا
رحّب به ..
لم يردّ ..

- (رضا) .. لقد جاء من مصر خصيصاً من أجلك ..
استمر الصمت ..، جلست جواره في هدوء وتأملته ..
كان يرتدى جلباباً أزرق متسخاً .. ورأسه عار .. وفي
عينيه نظرة تائهة ترمق أبعاداً أخرى لانعرفها ..
لم يتغير كثيراً وما زلت أرى ملامحي في ملامحه .. لكن
ماذا دهاه ؟



جلست جواره فی هدوء وتأملته .. کان یرتدی جلبابًا أزرق متسحًا ..
ورأسه عار .. وفی عینیه نظرة تائهة ترمق أبعادًا أخرى لا نعرفها ..

- (رضا) .. ألا تعرفنى ؟

لم يبد عليه أنه سمعنى فضلاً عن أنه عرفنى أساساً ...
رَبَّتْ على كتفه والتفت إلى زوجته حيث وقفت ويداهما فى
وسطها ..

- منذ متى ؟

- منذ أسبوع ..

- وماذا حدث ..؟! ..

قالت وهى تشعل لمبة الجاز لتبدد بعض ظلام الحجرة
مضيفة - فى الواقع - ظللاً كنيبة زادت الجوّ توترًا :

- كنا قد نعمنا .. ثم سمعت صوتًا ينادى (رضا) ..
(رضا)! .. صوت امرأة قادمة من الحقل القبلى ، نهض هو
مهبطاً على أن يرى ما يحدث .. قلت له إنها النداهة
يا (رضا) .. لا تذهب يا (رضا) ، لكنه أصرّ على أن
يذهب .. وها هى ذى النتيجة ..

- وهل عاد لك بعدها ؟

- كلا .. تأخر كثيراً .. فخرجت للحقل وحدى حاملة
لمبة الجاز ، وهناك وجدته واقفاً وحيداً لا يرد .. عدت به
إلى البيت ومنذ تلك الساعة وهو فى هذه الحال ..

- وهل هو لا يأكل فعلاً ؟

- تقريبًا ...، أحيانًا أسنّ الطعام في فمه كالأطفال أو
كالبط ! ويظل الطعام في فمه دون مضغ عدة ساعات ..
- وقضاء الحاجة ...؟

- حيث هو ...!
وفجأة - ودون إنذار - انفجرت باكياً والدموع تختلط
بكلماتها :

- لقد ضاع رجلى !.. لقد انتهى ...!.. باليته ما خرج ..
باليته ما سمعها ...!.. ماذا أفعل ؟.. ماذا أفعل ؟
ثم شرعت في هستيريا تسبّه على حماقته وتسبّ
الظروف التي جعلته - هو بالذات - ضحية النداهة ، ثم
تسبّ النداهة ... ثم تسبني أنا نفسى لأننى ... لا أدرى
بالضبط ما ننبى في الموضوع لكنها رأت
أن لى دوراً ما ، لا تعرف كنهه ويستحق التوبيخ .. ربما
لأنها كانت تفضل أن أكون أنا فى مكانه .. إن تمتع بكامل
قوى العقلية هو فى رأيها جريمة لا تغتفر ...! ولا ألومها
على هذا ..

ثم تهانفت فأجلستها جوار (رضا) وربّت على
ذراعها ...، ما أغرب هذه المرأة !.. كل هذه العواطف كانت
مختفية وراء مظهرها الصارم المتعالى ..

- ماذا أفعل بكوم اللحم الذى تركه لى ؟!
الواقع أنها كانت بالفعل فى موقف لا تحسد عليه لأن

أخى كان رجل البيت بمعنى الكلمة .. يفعل كل شيء ويعرف
كل شيء ، ومن دونه هى ضائعة تمامًا ..

- إنه لم يمت يا نجاة .. لم يمت ..

- بل هو ميت فعلاً ..

- إنه مريض .. وسيشفى ..

- كلا .. أنا أعرف مصير من نادتهم النداهة ..، سيظل

هكذا أسبوعين أو ثلاثة .. وبعد هذا تناديه للمرة الثانية ،
عندئذ يفارق الدار للأبد ولن يراه أحد بعدها ..

- كلا .. لن يحدث هذا وأنا حى ..، لن يمَس أخى بشرَ
أبداً ..

ونَهَضت فى تصميم .. وقد تذكرتها هى الأخرى ..،
فأكملت :

- ولن يمَس زوجة أخى سوء طالما أنا على وجه
الأرض ..



كان الظلام قد أرخى سدوله على القرية .. والنجوم
شديدة الوضوح فى السماء كأنها ثقوب فى ثوب أسود
يغطى الكون ، كل الموجودات قد بردت واصطبغت بلون
أزرق قاس .. ووجوه مكسوة بالظلام تمر من جوارى
تقرننى السلام فأرد بعبارات مختلطة وذهنى شارد ..

ما هي هذه الأعراض ؟!

إن هذه الصورة تشابه إلى حد ما أعراض الاكتئاب
التفاعلي الحاد أو صدمة عاطفية أو مرضاً
نفسياً ما ، لا أعرفه لأنى لا أعرف سوى أقل القليل عن هذه
الاضطرابات ..

وفى تلك الأيام السعيدة لم تكن المخدرات معروفة
بصورتها البشعة التى نعرفها اليوم .. لهذا استبعدتها
على الفور وإن كنت لا أنكر تشابه هذه الأعراض مع تسمم
الباربيتورات المزمّن .. لكن أخى لم يكن من النوع الذى
يذمّن .. ولم يكن سهل الخداع أبداً ..

هل هو مرض عضوى ما لا أعرفه ؟ .. هل هو جنون
ذهولى متقدم ؟ .. هل هو ؟ .. هل هو ؟ .. لا إجابة ..

هناك شيء واحد أعرفه .. إن واجبى هو أن أجلب بعض
زملائى من أساتذة الجامعة ليروه .. وأنا واثق أنهم
سيجدون مصطلحاً لاتينياً من عشرة أحرف على الأقل
يسمون به هذا المرض .. وسيصفون بعض الأقراص
والحقن تعيد أخى إلى حالته الأولى ..

نعم .. كنت أعرف ما ينبغى على عمله ..

★ ★ ★

٣ - ثرثرة ..

وقفت (نجاة) مذهولة ترقب ما يحدث ، فى حين وقف أطفالها فى استمتاع واضح يراقبون هذا السيرك الذى يدور أمامهم ..

وعلى الفراش الخشبي تمدد أخى (رضا) ذاهلاً لا يدري بشيئاً مما يحدث له ، فى حين انكب زملائي - علماء الطب - يفحصون كل ملليمتر من جسده القوى ..

دكتور (عادل شلبي) أستاذ الأمراض الباطنية قاس حرارته وضغط دمه ووضع سماعة على صدره وبطنه ثم هز رأسه وجمع حاجياته ونهض ..

الدكتور (محمود الأسيوطى) أستاذ الأمراض العصبية وخزه بدبوس عدة مرات وضربه بمطرقة مراراً وتحسس عضلات فكيه ثم ترك المجال للدكتور (محمد إبراهيم) أستاذ الأمراض النفسية الذى أخذ يرمقه فى شك ، وأخذ يسأل (نجاة) أسئلة محمومة لا ينتظر إجابتها عن أخى .. وهل كان يميل للوحدة .. وعلاقة أمى بأبى .. و ... و ...

ثم جاء دورى فمدت يدي بمحقن عملاق وسحبت من ذراعه عشرة سنتيمترات من الدم وضعتها فى أنبوب اختبار به مادة مانعة للتجلط وأصدرت لتلميذى الدكتور

(علاء) قائمة طويلة من الفحوص يقوم بها حين يعود لمعمله فى القاهرة ..

ثم إننى خرجت معهم إلى صحن الدار وأجلستهم كيما اتفق حول أكواب الشاي الأسود التى أعدتها زوجة أخى ...، وقلت فى حرج :

- إننى أشكركم على مشقة السفر وكل الوقت الذى أضعثموه من أجلى ..

قال د . (محمود) وهو يرشف الشاي :

- لامجاملات بيننا أيها الزميل .. لامجاملات ..

وقال د . (عادل) :

- إن هذا هو واجب المهنة .. سكر من فضلك !

ناولته علبة السكر والملقعة ، ثم تنحنحت وقلت :

- والآن .. هل كونتم رأيًا ما ؟

ساد الصمت برهة .. ثم قال د . (عادل) فى كياسة :

- من ناحيتى لا توجد مشكلة .. إنه سليم

تمامًا .. وجهازه العصبى متكامل .. وهذه ليست أعراضًا

نفسية لها اسم !

ولكن .. هذا يعنى .. إذا زعم هؤلاء الزملاء أنه

لامشكلة هناك فأنا كفيل بجعلهم يعيشون فى مشكلة

حقيقية ...!

- ولكن .. لابد أن هناك شيئاً ما خطأ ..

قال د . (محمد إبراهيم) وهو يشعل غليونه ..

- بالطبع ..

- وهذا الشيء له اسم ..

- بالطبع ...، وهو إلى حد ما يشابه أعراض الاكتئاب أو

فقدان النطق الهستيرى لكن ما هو بالفعل ؟ .. لا يستطيع

أحد أن يجزم ..

- إذن فمن يستطيع ؟

قال وهو ينفث دخان الغليون كريحه الرائحة محدثاً سحباً

كثيفة :

- المشكلة هي أننا لانعرف شيئاً عما سبق هذه

الحالة .. الملابس التي أدت إليها ...، ولانملك أية قصة

سوى قصة زوجته الملققة التي يعوزها الدليل العلمى ..

ثم أشار إلى بقم غليونه .. وأردف :

- مثلاً هل ستحكى لك هذه السيدة أية صدمة عاطفية

سببتها له فى تلك الليلة المشنومة ؟! .. هل لديها فكرة عن

أزماته المالية أو مشاحناته أو هزائمه ؟! ..

قال د . (عادل) مكمل الكلام :

- هل تعرف - وهو الأهم - أية عقاير يتعاطاها ؟!

قلت فى حلق :

- وهل تجد أية علامات لإدمان مخدر معروف ؟ ..
مخدر لا يؤثر في حدقة العين ولا في الجهاز العصبي
ولا في العلامات الحيوية ؟

- وهل أنت ملم بكل أنواع المخدرات ؟
- على الأقل أعرف منها ما يحتمل أن يوجد في قرية
كهذه .. ثم إنني أعرف أخي جيدًا .. إنه لا يدمن ولا يتعاطى
حتى الأسبرين ، وهو حذر جدًا بحيث لا يمكن أن يدس له
أحدهم شيئًا منها في طعامه ..

- إذن فالحل الصحيح هو عند زوجته ..
تتحجج د . (محمود) معلنًا رغبته في الكلام ..
- إذا أردت رأيي .. هل يمكنني الكلام بصراحة ؟
- بالطبع ..

قال وهو يحاول أن يتحاشى نظراتنا المتشككة :
- أنا لست مستريحًا لهذه المرأة القاسية المتسلطة ،
وأعتقد أنها تمارس لعبة نفسية ما ، مع أخيك أدت
لتحطيمه بهذه الصورة ..

قلت وأنا أمد يدي لكوب الشاي :
- لكنك لم تعرف أخي .. إنه هو رجل البيت بمعنى
الكلمة ، كل ما في الأمر أنه يحبها ويحاول إرضاءها قدر
استطاعته ..

- هذا لا يمنع أنها تسيطر عليه ..

- ثم إنها الآن فى موقف لاتحسد عليه ... ليس من مصلحتها أبدا أن يفقد زوجها وعيه خاصة فى هذه الأيام ..

قال د. (عادل) وهو يعيد كوبه للصينية متمنا بعبارة شكر :

- على العموم .. هى مجرد آراء ... والآن علينا أن ننصرف .. لقد حان موعد عيادتى ... وأمامنا رحلة عودة شاقة ..!

- ولكننا سنتفدى سويا ..

- كلا .. ليكن هذا فى ظروف أخرى إن شاء الله .. وهكذا - وفى صمت - أركبتهم فى سيارتى وبدأنا رحلة العودة الشاقة إلى القاهرة ، كنت محرجا منهم فلم أجرؤ أن أصارحهم بأن فحصهم لأخى وآراءهم لم تزد الأمر إلا سوءا .. وأن ما قدموه لى لا يساوى ثمن البنزين الذى بددته فى هذه الرحلة الرهيبة ..

لقد وضعت مشكلتى فى أيدي ثلاثة من أساطين الطب فى مصر فأعادوها إلى قائلين إنها مشكلتى أنا .. يا له من شعور مرعب ! .. إذن فأنا وحدى .. وحدى تماما ..

وعند مدخل عيادته فى باب اللوق نزل د . (محمد
إبراهيم) من السيارة وسط بحر من عبارات شكرى ،
واتجه للمدخل .. ثم تذكر شيئاً ما فعاد إلى وانحنى فوق
نافذة السيارة هامساً لى :

- هل تعرف !؟

- ماذا ؟

- لو كنت مكانك لفكرت فى أسطورة النداهة بشكل أكثر
جدية .. ألم يخطر لك أن أخاك قد نادته النداهة بالفعل ؟



عدت للقريّة شارد الذهن ، وكان الليل قد أرخى سدوله
بظلام لم أعتده أبداً فى القاهرة .. ظلام ثقيل لزج يخنق
الأنفاس .. ولا يفلح نور كشافات سيارتى فى تبديده
إلا قليلاً ..

وصلت لدار أخى فقرعت الباب .. أدخلتنى (نجاة) وقد
بدا بعض الشحوب على وجهها وفى لهفة سألتنى :

- هيه ؟ .. ماذا قالوا ؟

هزرت كتفى فى يأس .. ثم قلت فى شرود :

- لا شيء .. حالة نفسية لا أكثر ..

- ألم ينصحوك بشيء ؟

- أشياء تهم الأطباء فقط .. ولكن لماذا تسألين ؟

قالت فى لهفة ذات معنى :

- يخيل لى أن هذه هى الليلة ..!

- ليلة ماذا ؟

- ليلة الرحيل ..!

- اسمعينى يا (نجاة) .. لن نعود لهذا مرة أخرى ..

- لن أتكلم .. تعال للداخل وانظر ..

تبعتها فى توجس وهى تحمل لمبة الجاز وظلها يسقط
خلفها على الأرض طويلا مهيبا مرعبا ... معها دخلت
غرفة النوم فلم أجد (رضا) فى الفراش ..

- إذن أين هو ؟!

أشارت بأصبع مرتجفة إلى النافذة .. النافذة المطلة
على الحقل القبلى المظلم ... هناك كان واقفا ينظر إلى
الظلام فى ثبات وظهره لنا ، لم يشعر بوجود أحدنا قط ..
اقتربت منه فى تودة ووضعت يدي على كتفه فلم يهتز ولم
يبد عليه شيء ... عيناه شاخصتان خرساوان وثمة رجفة
فى شفتيه كأنه يعتزم أمرا ..

- هل رأيت ؟ .. منذ انصرف الحكماء وهو هكذا ..

قلت فى ضيق :

- وما هى المشكلة ؟ .. إنه مريض لأكثر ..



اقتربت منه في تودة ووضعت يدي على كتفه فلم يهتز ولم يبد
عليه شيء ..

مصصت بشفتيها متصعبة .. وقالت :
- كلهم يحدث لهم نفس الشيء .. إنه ينتظر النداء
الثانى ..

- (نجاة) .. لاداعى للتخريف ..
ثم اننى نهضت إلى حقيبتى التى نسيتهما فى غرفته ،
وأخذت منها محقناً وطلبت منها عليه (فى تلك الأيام
السعيدة قبل اختراع الايدز والتهاب الكبد الفيروسي كنا
نغلى المحاقن الزجاجية) ، ثم كسرت أمبولاً من
الفيوباربيتون(*) وتنالت ذراعه وأفرغت محتوى
الأمبول فى وريده .. ، لم يقاومنى كأن الإبرة تخترق
عروق شخص آخر ..

بعد قليل بدأت جفونه تتدلى وجسده يتراخى ، من ثم
نظرت إليها فى ارتياح .. وقلت :
- ها هو ذا .. سينام نومًا هادئًا حتى الصباح ..
- أكيد ؟

- طبعًا .. حتى ندامتك لن تستطيع إيقاظه ..
وتعاونًا على إرقاده على الفراش ، ثم جمعت حاجياتى
وهممت بالانصراف ولم تحاول أن تدعونى للبقاء معه ولم
أكن لأقبل لو فعلت ..

(*) عقار منوم .

فى الخارج كان الظلام الدامس مخيفاً وصوت حشرات
الحقول يتعالى فى إيقاع رتيب .. أغلقت باب السيارة
وأدركت المحرك .. هل هذا الصوت الغريب قادم من
المحرك أم ماذا ؟!.. كلا .. ليس هو المحرك ..
هذا الصوت قادم من بعيد .. من الحقل القبلى .. صوت
عميق رقيق كأنه امرأة تتوجع .. ببطء ومع الضغط على
مقاطع النداء ..

- رaaaaح ..!.. رaaaaح ..!

كلا.. ليس ما تقوله هو هذا .. أوقفت المحرك لأسمع
بصوت أوضح نعم .. أكاد أقسم أن هذا الصوت القادم من
الظلام .. من الحقول البعيدة التى لايجزؤ إنسان أن يمشى
فيها ليلاً مهما كان معه من مصابيح ، هذا الصوت يردد
فى إصرار محموم :

- (رضا اaaaaه) .. (رضا اaaaaه) !



٤ - مرضى آخرون ..

والآن لابد لكم أن تعترفوا بأننى قوى الأعصاب إلى حد غير عادى وأن إيمانى بالعلم لا يتزعزع ، لأننى - ببساطة - بعد أن سمعت ما سمعت ورأيت ما رأيت لم أهتز قط .. وعدت إلى دارنا لأنام !..

اننى لا أتصور أى أحمق كنته فى تلك الأيام .. على أننى فى الصباح الباكر لم أنس أن أمر على بيت أخى لأسأل زوجته عن حاله ، فقالت وقد أشرق وجهها : - الحمد لله ..

- لم يستيقظ ليلاً ؟

- نادته النداهة عدة مرات فكان يتقلب فى الفراش لكنه

لم ينهض !..

- رائع !

قالت لى وقد بدا عليها الشرود .

- لماذا لاتعطيه هذا العلاج .. الحقنة .. كل ليلة ؟

فكرة لا بأس بها .. لكنها ليست حلاً على الإطلاق ، ليس انتصاراً أن يقضى إنسان حياته تحت تأثير الفينوباربيتون حتى لا يسمع صوت النداهة ؛ دعك من أنها جريمة .. جريمة أن تدفع إنساناً للإدمان لمجرد أن تطمئن أنت ... ولكن ماذا نفعل كي لا يهرب ؟!

ابتسمت فى شفقة ، وحييتها وانصرفت ..



كما هو متوقع انتشر خبر عودتى للقرية كالنار فى
الهشيم .. وعلى الفور ازدحم الفناء الضيق لدارنا بأهالى
القرية الذين جاءوا حاملين أوجاعهم على أكتافهم
والأمهات اللواتى يعانى أطفالهن الاسهال والمراهقات
اللواتى يؤرقهن النمش على خدودهن ..

الواقع أن كل مخلوق فى القرية فتش فى جسده عن
علة ما تسمح له بالحضور لأفحصه ، وبالطبع لم أتذمر
ولم أتقاض مليماً لأن هذا هو حق أهل قريتى الذى لا جدال
فيه ..

لقد جعلنى هذا أتذكر شبابى الأول كطبيب وحدة
ريفية ..

وفى الحجرة التى على يمين الداخل لدارنا أعددت
ما يشبه عيادة خارجية صغيرة ، وشرعت أمارس أسرار
مهنتى المقدسة فى حين أخذت أختى تعد الشاي لعينات
منتقاة من الزائرين ..

وعند العصر كان ضغط العمل قد ركد .. وكنت أنا قد
انتهيت .. فأزمت الصعود إلى حجرتى للراحة توطئة لأن
أذهب لأخى (رضا) ليلاً ..

انفتح الباب ودخل ثلاثة رجال يبدو عليهم التردد ...
وقال لى أكبرهم سنًا :

- نحن نريدك فى زيارة منزلية يادكتور ..

ابتسمت وهزرت رأسى :

- هل يمكن تأجيل هذا إلى المساء ؟ .. إننى ..

- أرجوك ..

قالها فى صوت عميق أقرب للأمر ، وتبادلوا النظرات

العربية فيما بينهم .. هؤلاء الرجال يخفون شيئًا مريبًا ،

وهو - كالعادة فى الأفلام السينمائية - واحد منهم مصاب

بطلق نارى فى أثناء معركة مع البوليس !.. لكننا لسنا فى

فيلم سينمائى لهذا حاولت مرة أخرى التملص :

- عندكم الوحدة الصحية ، و

- أى مبلغ تريد ..

إنهم مصرّون !.. على كل حال فإن فلاحى الشرقية

مسالمون وكرماء .. ولا جدوى هنالك من رفض رؤية

مريضهم هذا لأنهم مصرّون كالموت ذاته .. وأنا لأحب

الشجار .. على الأقل مع أهل قريتى ..

- إذن هيا بنا ..

وحملت حقيبتى .. وخرجت معهم ..



- تفضل يا بيه ..

ثمة امرأة تخفى وجهها بطرحة سوداء ، وعدد لا بأس به من الرجال جالسون فى وجوم وصمت يدخنون ويتبادلون نظرات ذات معنى ... ثم نفس تصميم الغرف الطينية الموجودة فى دارنا .. والبط الذى يمرح بحرية تامة ... وكان هناك مدخل كرية الرائحة يقود لغرفة جانبية مفروشة بالحصير ، وعلى الأرض تعدد شاب وسيم فى مقتبل العمر يحدق فى السقف بعينين لا تطرفان ... سألتهم وأنا أنظر للشاب :

- هل هو المريض ؟!

لم يرد أحد تعبيراً منهم عن بلاهة سؤالى ، فقررت أن أزيد الأمر سوءاً بسؤال أكثر سخفاً ..

- ماذا به ؟

- كما ترى ... !

- منذ متى ... ؟

- أسبوع ..

الحنيت عليه فلم أستطع فحصه ، اضطررت إلى الركوع جواره وبدأت بمحاولة تنبيهه فلم أفلح .. نفس الأعراض اللعينة ... هل هو وباء يجتاح القرية ...؟ مددت يدي لمعصمه لأقيس نبضه فوجدت شيئاً مروعاً .. حبل

من الليف حول معصمه يثبتته إلى وتد خشبي مدقوق
في الأرض ، لقد قيدوا هذا الفتى كحيوان مفترس كي
لا يفر .. وبإلها من فكرة !

رفعت عيني إلى الرجال الواقفين حولي وسألت :
- هل .. هل نادته النداهة !!؟

تبادلوا نظرات التقدير لي ، ثم قال أكبرهم وقد انبسطت
أساريه :

- أمه تقول هذا .. لقد سمعتها ..

- ولماذا استدعيتوني إذن ؟

- كي تثبت هذا أو تنفيه ..

أثبت هذا ؟ .. وكيف أثبت هذا وأنا لا أصدق منه
حرفاً ؟! وفي أي كتاب علمي نجد وصفاً دقيقاً لأعراض
مرض (النداهة) ؟! .. تأملت الفتى المقيد في رهبة .. إنها
أسطورة مرعبة .. وفكرة هذا القيد البشع تزيد الرعب ،
جالت بخاطري رحلة (أوليس) (*) حين كان عليه
المرور أمام صخرة عرائس البحر اللواتي يفتن غناؤهن

(*) (أوليس) أو (أوديسيوس) بطل ملحمتي هوميروس
(الإلياذة) و (الأوديسة) اللتين تتحدثان عن حربه في طروادة ثم
عودته الشاقة إلى زوجته المخلصة (بنيلوبي) .

البحارة فيرمون بأنفسهم في الماء ليغرقوا .. اضطر
(أوليس) إلى تقييد نفسه ورفاقه بالسلاسل إلى صواري
السفينة سر لا يلبثوا نداء عرائس البحر الفاتن ..، إن
السلوك البشري الأسطوري يتشابه في محافظة الشرقية
وفي بلاد الإغريق !!

ما علينا ..

واصلت فحص الفتى .. وعريت الجلباب عن بطنه
فوجدت شيئاً ما .. آثار أنياب حادة مزقت اللحم أسفل
الصرة لكنها التأمت تماماً .. وهكذا بدأت أفهم
ما هنالك ... سألت الرجال في حذر ..

- هل يشرب ؟

- لا .. إنه يرفض الماء تماماً ..

- إذن هاتوا لي بعض الماء ..

جروا - في حماسة مبالغ فيها - ليحضروا لي قلة
الماء .. ناولوها لي في شك مندهشين من تحمسي للشرب
في هذه الظروف ..

أمسكت بالقلة وقربتها من وجهه ثم بدأت أسكب الماء
ببطء أمام عينيه المذعورتين .. وكما توقعت بدأ وجهه
يتقلص .. نظرة مريعة في عينيه .. صرخة صامتة على
شفثيه .. ثم نهض جالساً وهو يعوى ويئن كالذئب
الجريح ..

أبعدت القلة عنه وشرعت أهنته ..
نهضت وجمعت حاجياتي في صمت ، ثم أشرت لأكبر
الرجال كي يتبعض للخارج ، وهناك أمام عيون كل الواقفين
قلت له :

- ليس هذا نداء النداهة بالحاج ..

- إبن ما هو ؟

- إنه مصاب بالكلب ..

- الكلب .. ؟!

- نعم .. حيوان مسعور عضه في بطنه منذ بضعة
أيام (★) !

- لم يحدث ..

- بل حدث ، ولربما تجاهل هو الأمر ولم يأخذ المصل
المضاد لذلك ... والآن هو في مراحل المرض الأخيرة ..
- وموضوع الماء ؟

- هذا المرض كان يسمى قديماً بمرض (خوف الماء)
لأن المريض يحتاج من صوت الماء أو منظره ويتشنج
بهذا الشكل الشنيع ، وكذلك تيارات الهواء تحدث تقلصات
بعمومية شديدة ..

(★) لا يحدث مرض الكلب نتيجة عضه الثعلب أو الفأر أو
السنجاب أو الجمل وليس بالضرورة الكلب .

وأشعلت سيجارة مستطرذا وشاعرا بالفخر من نفسى :
- وهذا الذهول هو عرض التهاب المخ المصاحب
للمرض ..

لم يبد عليه أنه فهم حرفاً مما قلت .. ولم يكن يعنيه أن
يفهم ، كل ما كان يريد هو أن يعرف : ماذا يفعل ؟
- يجب نقله فوراً إلى إحدى مستشفيات الحميات
بالزقازيق ..

- ولكن ..
- فوراً ..!.. إن احتمال نجائه لا يتعدى النصف بالمئة لكن
يجب أن نحاول ..
- ولكن ..

- فوراً ..!.. إن حياة هذا الفتى بين أيديكم الآن ..
قال أحدهم فى فظاظة وتحد .
- لكن أمه سمعت النداهة يادكتور ..
التفت إليه فى غيظ وصحت :

- إذا اعتقدتم فى وجود النداهة فهذا شأنكم ، لكن هذا
الفتى مسعور .. هل تفهمون هذا ؟ .. ولن يعيش ليرى
صلاة الجمعة القادمة !
- والعمل ؟

- سبحان الله !.. قلت لكم مستشفى الحميات !

ودارت مناقشات جانبية شديدة الحمق والغباء ... من الواضح أنهم لن يأخذوه لأى مكان وأنتى سأضطر إلى إبلاغ المركز عن احتجازهم لمريض فى حالة خطرة ، لكننى - فى قرارة نفسى - وددت لو كان بإمكانى أن أجد تفسيراً لحالة أخى بهذه السرعة والسهولة .. أعرف أن أحداً لم ينجو من مرض الكلب فى تاريخ الطب حتى اليوم ، لكن رغبتى فى إيجاد حل لمشكلة أخى كانت شديدة الإلحاح ..

انتهت المناقشات ، من ثم تقدم أكبر الرجال إلى وصافحنى فى حزم :

- شكراً يادكتور .. والآن كم أتعابك ؟!

طلبت رقماً فادحاً لأننى أحسست أن من واجبى أن أنتقم من هؤلاء الحمقى إلا أنه دفعه عن طيب خاطر ، وأمر أحدهم كى يرافقنى إلى دارى ، قبل أن أنصرف قال لى :
- أنصحك أن تؤمن بالندامة لأنها لا تنادى إلا من لا يصدقون وجودها !!



٥ - الدكتور (عاصم) ..

كان الوقت يقترب من الساعة مساء حين اتجهت بسيارتي للوحدة الصحية في قريتي ، وهي مبنى عتيق متهدم كادت الرطوبة تأتي على جدرانها ، واحد من مئات المباني المماثلة على شكل حرف (ت) الإنجليزي تملأ ريفنا الطيب ، وتقدم للفلاحين خدمات محدودة جداً .. لم يكن هنالك عمال ولا خفراء من ثم صعدت في السلم المتحطم إلى الطابق العلوى حيث سكن الطبيب ، وقرعت الباب فى كياسة ..
- لحظة ..

وسمعت خطوات بالداخل ، ثم انفتح مزلاج حديدى .. وتبدى لى وجه الطبيب فى ضوء مصباح الجاز الذى يحمله .. كان شابا فى منتصف العقد الثالث من عمره لكن شعر رأسه قد زال أو كاد .. وعلى عينيه نظارة سميكة جعلت جفونه تبدو أصغر وأضيق مما هى عليه ، وكانت ذقنه نصف نامية ..
- أفندم ؟

- قمت بتعريفه على نفسى .. فابتسم لى فى مودة ، ودعانى للداخل وهو يصيح :

- عرفت الآن لماذا لم أر مريضًا واحدًا في هذا اليوم
اللعين !

وقادني إلى غرفة نظيفة بها فراش جواره بعض الكتب
والمجلات ، وموقد كيروسين عليه وعاء شاي أخذ في
القليان ، وعلى الحائط تحرك برص صغير أزعجته
أصواتنا ! ، من الواضح أن الطبيب كان راقداً في الفراش
يقرأ حين أتيت ..

في حرج أزاح جزءاً من الملاءة ليسمح لي بالجلوس
على الفراش ، ثم شرع يزيد كمية الشاي في البراد ، وخلع
شبهه وتربع جوارى على الفراش وهو يسبّ عمال
الوحدة سباباً مقدحاً لسبب لم أفهم ما هو ، الخلاصة أن
استقباله كان شديد المودة على قدر إمكانياته ..
قال لي .

- أنا الدكتور (عاصم فتحي) .. هذا ثالث عام لي في
هذه القرية .. إنني سمعت عنك يا دكتور (رفعت) الكثير ..
الكثير جداً ..

هزرت رأسي في تواضع وقلت :

- لقد جئت لاستشارتك في أمر صغير ..

ضحكت في سرور :

- الأستاذ العظيم يطلب استشارتي ...!.. يالهي من

محفوظ !

قلت فى جدية :

- الأمر جد لامزاح فيه ..

- وما هو ؟

حكيت له قصة مريض الكلب وموقف أهله ، ثم سألته :

- ما هو التصرف الإدارى فى حالة كهذه ؟!

نهض ليصب الشاى فى كوبين محدثا قرقرة محببة

للنفس .. وقال :

- كم ملعقة سكر ؟ .. اثنين ؟ .. حسن .. كنت أقول إن

التصرف الصحيح هو إبلاغ المركز ويتم ترحيل المريض

إلى مستشفى الحميات وعمل محضر لأهله ..

هذا هو الحل الصائب .. ولكن ..

- ولكن ماذا ؟

نظر لى نظرة حادة وهمس :

- هل تتوقع فائدة ما من هذا ؟! .. مريض كلب فى آخر

مراحل المرض ..

- وما معنى هذا ..؟

- معناه أنك ستسبب مشاكل لا حصر لها لأهله ، كفاهم

ما هم فيه ..

- وتتركه يموت ؟

- إنه سيموت على كل حال ... أنت - كما يقولون - ابن

القرية لكنك لاتعرفها ..



نهض ليصب الشاي في كوبين محدثاً قرقرة محبة للنفس .. وقال :
— كم ملعقة سكر ؟ ..

وناولني كوب الشاي ، ثم تنهد .. وأردف :
- في الريف يجب أن يتحلى المرء بشيء من
المرونة...، إن لهذه القرية قانونها الخاص غير
المكتوب ..

تأملت الغرفة حولى مفكراً .. إن فى كلام هذا الفتى شيئاً
من المنطق لكن مشغلتي لم تنته بعد ... قلت له وأنا أرشف
الشاي :

- هل سمعت عن النداهة ؟
هز رأسه .. وشبح ابتسامة تتلاعب على ثغره ..
واصلت السؤال :

- هل قابلتك حالات مماثلة ؟
ازدادت الابتسامة اتساعاً .. ثم إنه نهض إلى مقعد
خشبي صغير جوار الفراش تكدست عليه الكتب
والأوراق ، وتناول كراسية صغيرة مهترئة الغلاف .. وعاد
للفراش ... وقال :

- سأريك الآن شيئاً لم يطلع عليه أحد من قبل ..
- وما هو ؟

- إنها كراسية مذكراتي ..
وشرع يقلب الكراسية .. أوراق عديدة بخط صغير أنيق
ملينة بكلام فارغ .. رسوم لوجوه فتيات ، وأبيات شعر ..

وكلام عن ألمه وعذابه وندمه على أشياء كثيرة لايهمنى
أن أعرفها .. بالكارثة !.. من المستحيل أن يقاوم إغراء
قراءة كتاباته على أذنى العجوز المنهكة .. فلقد ألقى إليه
القدر بمستمع معتوه فى الثامنة مساءً وهو لن يتركه يفلت
أبداً !

إلا أنه لم يتل على شيئاً لحسن الحظ .. بل قلب الكراسى
إلى صفحتين فى المنتصف .. وشرع يقرأ وهو ينظر إلى
من حين لآخر :

- فى أكتوبر ٦١ أصيب (الزغبى) فرحات وهو فلاح
فى السادسة والثلاثين من عمره بمرض غريب ..
الأعراض : شروء تام ، وانفصال عن الواقع .. لا يأكل
ولا يشرب ولا يتكلم ..

الفحص : كل العلامات الحيوية سليمة .. الحالة
العصبية سليمة .. لا توجد علامات لعقاقير مخدرة من أى
نوع ..

الأبحاث : السكر ووظائف الكلى والسائل النخاعى
الشوكى على مايرام ..

تاريخ الحالة : يزعم أهل المريض أنهم سمعوا نداء
امرأة يدعو به باسمه قبل ظهور الحالة بدقائق ..

فى نوفمبر ٦١ نام أهل البيت ، وحين استيقظوا لم يجدوا المريض فى البيت ولا فى أى مكان ..
ثم إنه قلب الصفحة إلى صفحة أخرى .. ورشف جرعة من الشاي .

- فى فبراير ٦٢ تتكرر القصة مع (سعيد جابر) ..
عامل بناء فى الخامسة والعشرين ... نفس الأعراض ..
وكل شيء ..

فى مارس ٦٢ .. حادثة مماثلة تحدث (لأبراهيم السقا) .. مراهق فى الثالثة عشرة من عمره ..
فى أبريل ٦٢ .. (رضا إسماعيل) ، فلاح فى الرابعة والثلاثين .. هو فى غيبوبة الآن لكنه لم يفر بعد ..
فى كل حادثة من هذه الحوادث نكر أهل المريض اسم النداهة ..

ما هى النداهة ؟!

النداهة هى إحدى الشخصيات المرعبة فى الأدب الشعبى ، وهى - كما يجمع من وصفوها - غولة تتنكر فى شكل أنثى حسناء .. تتجول ليلاً فى الحقول المظلمة وتنادى شاباً بعينه باسمه مراراً ، ما إن يسمعها الفتى حتى يهرع للحاق بها على الرغم من أهله ، فإذا ما لاقى الفتاة وارتقى فى أحضانها تحولت لغول ضخم يلتهمه حتى العظام ..

توجد شواهد عدة على وجود كائن له هذه
المواصفات ..

(محمد أمين) - فلاح عمره خمسون عامًا - شاهد في
حقه ليلاً امرأة طويلة القامة تسير في تودة وتنادى :
(زغبي) .. (زغبي) !.. وهو يقسم إنها كانت تشع بلون
أخضر مخيف ، طبعاً لم يجرؤ على أن يذهب إليها بل عاد
لبيته ليتدثر بأغطيته ويتلو الأدعية ..

(السيد الشرقاوى) - بقال القرية - في أثناء عودته ليلاً
جوار الترعة شاهد فتاة حسناء تمشي فوق مياه الترعة
ولا تفرق ...

(أحمد عباس) - فلاح - سمع صوت نداء امرأة يردد :
(إبراهيم) .. (إبراهيم) ! فهرع ليرى ما هناك ، وجد
امرأة واقفة في الحقل وحدها .. اتجه ليسألها عما تريده
من (إبراهيم) .. استدارت له ببطء .. يقول إنه رأى أجمل
وجه رآه في حياته لكن .. حدقتيها ...، كانتا حمراوين بلون
الدم ، وأن العالم كله دار به حين رأى المشهد .. ولم يدر إلا
وشقيق زوجته يحمله إلى داره مغشياً عليه من هول
ما رأى ..

الطفل (صبحي محمود) - ٩ سنوات - شاهد امرأة تعبر
حقل أبيه ليلاً في ضوء القمر دون أن تترك ظلاً ..
قلت في سخرية :
- إنه طفل قوى الملاحظة حقاً ..

لم يبد على الدكتور (عاصم) أنه لاحظ سخرىتى ،
وواصل القراءة :

- فى كل الحالات كان هناك نداءان .. الأول يؤدي
بالمريض إلى حالة الذهول ، والثانى هو النهائى الذى
يختفى بعده .. الفاصل بين الندائين هو أسبوع إلى
أسبوعين ..

بعض أهالى القرية يقيدون (المندوه) لمنعه من
الاختفاء ، وبعضهم يحرسون المريض حراسة محكمة ..
لكن هناك لحظة ما من الإهمال أو النوم لابد أن تحدث ...
عندئذ ينتهى كل شيء ويفرّ (المندوه) ..

- ألم يحاول أحدهم مطاردة صاحبة الصوت ؟
- بالطبع لا ... لأن الأسطورة حية فى نفوسهم ، وهم
واثقون أن من يعوق النداهة عن أداء عملها سيكون
فريستها القادمة !

ورشف ثمالة الشاي من كوبه .. وقلب الصفحة :

- هناك عدة احتمالات لهذا الذى يحدث ..

الاحتمال الأول : هو أن النداهة كائن حقيقى ..

- احتمال غير مقبول ..

قال لى وهو يضع الكوب جانبا ليغير وضع جلسته :

- أوافقك على هذا .. لكنه الاحتمال الوحيد بعد استبعاد
الاحتمالات الأخرى .. وهى سخيقة كما سترى ..

الاحتمال الثانى : أنه وباء لانعرفه اجتاح القرية
وأعراضه نفسية تمامًا مثل وباء الكورو (*) فى وسط
إفريقيا ، وفى هذه الحالة فإن الأمر يستدعى إبلاغ من هم
أقدر منا ، كمنظمة الصحة العالمية أو النمرو (**) ..

الاحتمال الثالث : هلوسة جماعية أصابت الكل .. وهو
احتمال عسير وصعب التصديق ... لكنه أفضل من
الاحتمال الرابع ..

الاحتمال الرابع : أن هناك عدة جرائم قتل نظيفة تمت
باستغلال هذه الصورة الأسطورية وأن هناك قاتلاً عبقرياً
قام بزخرفة جرائمه بحيث لا يتطرق الشك إلى أحد أن هناك
نداهة حقيقية ..

قلت له متثائباً :

(★) (الكورو) وباء فيروسى يصيب المخ ويسبب ضحكاً
متواصلًا حتى الموت ، وهو ناجم عن عادة إفريقية قديمة هى أكل مخ
الموتى نيئًا لاتقاء شرهم !

(★ ★) (النمرو) NMRU وحدة الأبحاث الطبية التابعة
للبحرية الأمريكية .

- لقد أجدت عرض الحقائق .. لكننى أعتقد أن الأربعة
الاحتمالات كلها خيالية ومتناقضة ..

- الاحتمال الخامس : هو أن لكل حالة تفسيراً على
حدة .. فالحالة التى رأيتها اليوم كانت مصابة بالكلب ،
ربما كانت الحالات الأخرى تعاني أشياء أخرى لم أعرفها
أنا ..

نظرت لساعتي ... كانت التاسعة تماماً .. وتذكرت
أخى .. إن ما يجول بخاطرى الآن هو شيء واحد .. أن
أذهب إليه لأقيده فى فراشه وأريح دماغى مما قد يكون
وما قد يحدث ... إن عرض الطبيب لمعلوماته كان جيداً
منظماً لكنه لم يقدم لى الكثير ... وتأملت الكتب التى
وضعتها جوار الفراش على الكرسي .. يالها من مجموعة
غريبة .. كتاب (كفاحى) لأدولف (هتلر) .. وبعض كتب
(نيتشه) (*) .. ومجموعة من روايات الخيال العلمى ..
وبعض المجلدات الطبية أكثرها عن علم العقاقير .. وأربعة
دواوين شعر ..

(*) (نيتشه) فيلسوف ألمانى اشتهر بدعوته للقوة ونبذ
الضعفاء والمرضى من المجتمع ... وفلسفته قاسية غير إنسانية
كانت هى أساس فكرة النازية التى تبناها (أدولف هتلر) ، وأشهر
كتب نيتشه هو (هكذا تكلم زرادشت) .

نظرت له وقلت :

- شكراً على عرضك المشوق وعلى استقبالك ، لا بد لي أن أنصرف ..

- لكننا لم نتحدث بعد ..

- فيما بعد .. لقد كان يومى شاقاً ..

- نعم .. أعلم هذا وآسف له ..

- على كل حال ستجدنى هنا مراراً ..

- وكم من الوقت ستقيم هنا ؟

- الواقع أننى لا أدري ..

وهرشت رأسى فى تعب ، من الغريب أن هذا هو يومى الثالث فقط فى القرية .. كأنه دهر!...، قلت فى إنهاك :

- المفروض أن إجازتى من الجامعة هى أسبوعان ...، إلا أننى سأظل هنا حتى أعرف كل شيء عن أخ....

وقبل أن أخبره بقصة أخى دق الباب فى إلحاح ...،

تركنى واتجه ليفتحه حاملاً المصباح ، وظللت وحدى فى

الظلام أسمع محادثة هامسة بينه وبين ما يبدو أنه أحد

عمال الوحدة وقد عاد من جولته فى الخارج ...، بعد دقيقة

عاد لى والمصباح يلقى ظلاً مرعباً على وجهه .. وقال :

- ما هذا هذا (مصطفى) .. خفير الوحدة ، يعتذر عن

اضطراره للنزول إلى القرية لأن أهلها نادوه للبحث عن

شخص ما معهم ..

- شخص مختلف آخر ؟!
- بالفعل .. وأنت تعرفه جيدًا ..
- أخي (رضا) !.. هل حدث هذا ؟.. ولكن الطبيب لا يعرف بعلاقته بي .. ولم يربط لحظة بين اسمي (رفعت إسماعيل) و (رضا إسماعيل) ... إذن من هو ذلك المفقود الذي أعرفه أنا جيدًا ؟!
- هل تذكر الفتى المسعور الذي رأيته عصر اليوم ؟
- بالطبع ..
- حسن .. لقد لبى نداء النداهة منذ ساعة !!



٦ - أين هي ؟!

حين عدت لدارنا فى ساعة متأخرة من الليل بدت أمى قلقة من منظرى الشوش المضطرب ، وشرعت أختى - بعينين حراوين من أثر السهر - تسألنى عما هنالك .. حتى أنهما جعلتاى أقسم إن شيئاً ما لم يصب أخى (رضا) .. أكدت لهما أننى منهنك لا أكثر ..

وفى غرفتى المتواضعة بجدرانها المظلية بالجير الأخضر جلست أدخن وأتصفح كتبى التى لم يمسها أحد منذ أيام مراهنقى ..

يا للهزيمة المروعة التى تلقاها تشخيصى بعد أقل من أربع ساعات ! لقد فر الفتى ملياً نداء النداهة ، وبالطبع يقوم أهله الآن بتوجيه اللعنات إلى ذلك الحمار المغرور - الذى هو أنا - الذى زعم أن ابنهم مسعور وبالتالى جعلهم أقل حذراً فى تعاملهم مع الفتى .. أنا لا يضايقنى أن يقال إننى لا أفقه شيئاً ، فلطالما قيل ذلك لكنى أكره أن تنهزم الحقائق العلمية على يدى وبهذه القسوة ..

حين نادى (كوخ) .. العبقري الألمانى بأن مرض الكوليرا تسببه بكتريا واوية تحداه أحد خصومه وشرب مزرعة كاملة من بكتريا الكوليرا أمام الشهود

- مزرعة تكفى لقتل مئة رجل - فلم يصب بشيء ولا حتى
عسر هضم (*) !!، وهكذا فُهر العلم لأسباب لا يمكن
تفسيرها !

نفس الموقف يتكرر معى على نطاق أضيق ..
أنا أعرف أن التهاب المخ المصاحب لمرض الكلب
يسبب جنونا مؤقتا .. وقد يفر المريض من ذويه ، لكن
هذا يحتم أنهم سيجدونه ميتا فى مكان ما بالقرية خلال
أربع وعشرين ساعة .. فإذا لم يجدوه فمن يقنعهم أن
ما حدث هو أمر لا دخل للنداهة فيه ؟!
يا للحيرة ..!..



فى الصباح ذهبت - محمر العينين مشوش الشعر -
للاطمئنان على أخى ، فتحت لى (نجاة) الباب .. فما إن
رأتنى حتى ابتسمت فى تشف .. وهتفت :
- سمعت أن ابن أبى عبد الرازق قد نادته النداهة
أمس ..

قلت لها فى ضيق معاتيا :
- الناس تقول صباح الخير أولا ..

(★) قصة حقيقية .

واصلت الكلام فى قسوة :

- يقولون إنهم أرادوا رأيك لكنك قلت إن حيوانا مسعورا عضته ..

- حتما ؟

- أى أنك لم تعرف ..

- هذا يدعو للفخر ..

ونظرت فى عينها .. وضغطت على أسناني ، ثم
تمتمت :

- (نجاة) ؟ .. ماذا تريدان ؟ .. ما الذى يسرك فى هذه
القصة إلى هذا الحد ؟

هل أنت سعيدة إلى هذه الدرجة لفشل أخى زوجك ؟
شدهت لفترة .. ولم تدر ما تقول ، من ثم خفضت
رأسها ودعتنى للدخول ..

- لامواخذة ... كنت أتحدث من غلبى ...

- وهشت الأولاد الذين يلعبون من طريقى وأردفت :

- أنت لا تصدق .. ولهذا قلت ما أقول .. لامواخذة !

ودخلنا غرفة أخى ، وكان كل شيء كما هو سوى أنها

فعلت الشيء الذى كنت أريد أن أفعله .. ربطت معصمه فى

عمود السرير بإشارب من الحرير .. وكان نائما مفتوح

القم ، وقد بدا منهاكا إلى أقصى حد ..



ربطت معصمه في عمود السرير بإشارب من الحرير .. وكان ثائماً
مفتوح الفم ، وقد بدا منهكاً إلى أقصى حد ..

قالت (نجاة) مفسرة :

- ظل طوال الليل ينهض ويتقلب ؛ لهذا اضطرت
لتقييده .. ظلت الملعونة ثلاث ساعات تناديه أمس ..
- وهل (رضا) عاجز عن فك هذا القيد الحريري ؟
- إنه ضعيف جدًا .. ألم تلاحظ هذا؟! .. ثم إن مخه
مشوش ولا يستطيع حتى معرفة كيفية فك هذه العقدة ..
- والفتى إياه .. ابن أبى عبد الرازق .. لقد كان مقيداً
وهرب ..

- كلا .. لقد فكوا ذراعه على كلامك !، تركوا الغرفة
خمس دقائق ليتفكروا على ما يفعلون .. حين عادوا للغرفة
لم يجدوه ووجدوا النافذة مفتوحة ..
ثم دمت عيناها .. وهمست فى غيظ :
- وأنت قلت إن حيواناً مسعوراً عضه !



قال د. (عاصم) فى ثقة :

إن رأيك العلمى لا يقبل الشك ، إن الحمى المخية جعلته
يهرب ، ولكن كيف تقنع هؤلاء الحمقى ؟!
كنا جالسين فى غرفته بالعيادة ، غرفة الفحص ..
وكان زحام المرضى قد بدا يقل .. وكان وجهه فى نور
الصباح أكثر بشاعة مما رأيته ليلاً .. كأنه بومة عجوز
متشككة ترتدى المعطف الأبيض ..

قلت له فى شرود :

- عندى فكرة ما ..

- ما هى ؟

- أنت مهتم بهذه الأسطورة مثلى تمامًا ..

- طبعًا ..

طرقت المنضدة بمجمع قبضتى ، وصحت :

- نحتاج إلى الكثير من الصبر والتأنى ..

- لا أفهم ..

- قلت لى بالأمس إن هناك مريضًا لم يلبّ نداء النداهة

بعد ..

- نعم .. واسمه (رضا إسماعيل) ..

لماذا لم أخبره أن المدعو (رضا إسماعيل) هو

أخى ؟! .. لا أدرى .. إنه حافز خفى لا أدريه جعلنى أفع

هذا ..، نفس الحافز الذى جعلنى لا آخذ حقائى إلى بيت

الدكتور (ريتشارد كامنجز) فى يوركشاير .. وهو نفس

الحافز الذى جعلنى أقرر المبيت فى الحانة القذرة فى تلك

القرية الرومانية البائسة ، وقد أقسمت - منذ زمن بعيد -

أن ألبى دائمًا تلك الحوافز الغامضة لأنها تصيب دائمًا ..

قلت له :

- سنقوم بترتيب أنفسنا ... سنوزع نوبتجيات سهر
نقوم فيها بمراقبة المنطقة المحيطة بداره ... وإذا ظهرت
هذه الندامة المزعومة فسنلقى القبض عليها فوراً ...!
نظرت لى لحظة ليرى إن كنت جاداً .. ثم هرش صلعتة
مفكراً .. وقال :

- إنها خطة مرهقة ...!

- بالفعل .. لكنى لا أتوقع أن يدوم انتظارنا أكثر من
ليلتين ..

- وحالات الطوارئ الليلية

- يمكنك أن تخبر عاملاً تبقى به بمكانك بحيث يستدعيك
إذا ما اقتضى الأمر ذلك ..

أخذ يفكر قليلاً .. وفى هذه اللحظة دخلت ممرضة
حسناء الغرفة حاملة زجاجة صغيرة بها ترمومتر ..
وما إن رأته حتى هزت رأسها محيبة إياى والتفتت إلى
الدكتور (عاصم) قائلة بصوت مبجوح :

- لقد انتهت آخر الكشوف يا (عاصم) ..

يا (عاصم) ؟ .. وإزاء نظرة الدهشة التى ارتسمت على
وجهى هش وجه الدكتور (عاصم) وأشار للفتاة قائلاً :

- معذرة .. لقد نسيت أن أقدمها لك .. (عواطف)
زوجتي ..!

ثم عاتبها باسمًا :

- (عواطف) .. كم مرة قلت لك ألا تناديني باسمي
مجردًا أمام ثالث ؟ ..

ضحكت في دلال وقالت بلهجة قروية جريئة وهي
تتحسس رقبتها :

- إننى أعرف د. (رفعت) جيدًا .. إنه ابن القرية وليس
غريبًا ..

هزرت رأسى محييا إياها بما معناه (تشرفنا) .. ثم
سألتها :

- هل تعرفين أسرتى ؟!

- ليس تمامًا .. إننى أصلاً من فاقوس ..

شئ غريب ! .. لم يجل بخاطرى أبداً أن الرجل
متزوج ...، إن منظر غرفته التى شهدتها بالأمس ومنوال
حياته يوحى بالعزوبة .. وأين كانت زوجته ليلة أمس حين
كنت عنده ؟ .. ثم إن لدى بعض التحفظات على زيجة كهذه
قد لا تمنح أقصى درجة من التكافؤ الثقافى والاجتماعى ..
لكن مالى أنا وهذا ؟ .. إنهما سعيدان .. وأنا أفهم ما تفعله
الوحدة فى النفوس ...، على الأقل هو قد أكمل وجوده

الفسولوجى ، أما أنا فما زلت طفلاً يلهو جوار بركة الحياة
قاذفاً فيها حجراً من وقت لآخر لكنه أبداً لا يجد الشجاعة
ليسبح فيها .. !

قال د . (عاصم) وقد خمن نصف ما أفكر فيه :
- إنها بنت حلال .. تفهمنى تماماً ولا أرضى عنها
بديلاً ..

ثم قال وقد خمن النصف الآخر :
- أمس كانت قد نزلت القرية لاجراء ولادة عاجلة ،
إنهم هنا يفضلون أن تقوم قابلة أو ممرضة بذلك ..
- لهذا لم أرها ليلة البارحة ..
- ولهذا أغلقت سكن الممرضة تماماً لأننا نعيش سوياً
فى سكن الطبيب .. لقد صارت هذه الغرفة الضيقة بيتنا
الفاخر ..

مددت يدي أعبث بالترمومتر الذى فى الزجاجاة .. ثم
قلت :

- إذن متى يبدأ مشروعنا الصغير ؟ ..
- الليلة إذا أردت !



- إنه الليل ...

مرة أخرى يعود هذا الكيان الغامض الأسود الملىء
بالأسرار ...، في غرفتي أرتدى ثيابي استعدادًا للحاق
بالدكتور (عاصم) عند الوحدة الصحية ، ارتديت حذاءً
خفيفًا ووضعت في جيبى مصباحًا كهربائيًا ، وتأكدت أن
معي من السجائر ما يكفى لسهرة طويلة قاسية ..
ثم إننى فعلت الشيء الذى لم أكن أعتقد أننى سأفعله
أبداً .. من بطاقة حقيقة الكشف أخرجت مسدس الصغير
الذى قمت بتخليصه بعد مغامرتى مع الكونت
(براكيولا) ...، وتأكدت من حشوه ثم لمستته فى جيبى ..
أما الخطوة التالية - وهى الأهم - فكانت أننى أخفت
المصحف الصغير الذى أعطتنى إياه أمى ، ووضعتَه فى
جيب البفلة الداخلى ..
لقد استعددت لكل شيء ..



٧ - المقابلة ..

عند الوحدة الصحية الجائئة كشبح أسود فى الظلام قابلته ...، كان واقفاً وقد ارتدى (بول أوفر) أسود على الرقبة ، لأحب كثيراً قضاء الليل مع هذا الخفاش الأصلع لكن لا مفر لى .. إن زوجين من الأعين هما - حتماً - أفضل من زوج واحد حتى إذا كان كلانا ينظر للعالم من خلف زجاج نظارة سميكة ..

- هأنذا !..

صحت به ، فوثب فى مكانه هلقا وشرع يبسم ويحوّل ..، يالك من أبله ! إننا لم نبدأ بعد ...، وما إن نعرف على حتى وجه ضوء البطارية إلى وجهى وشرع يضحك فى هستيريا مردداً ..

- لقد ظننتك هى !..

- هذا هو ما نريده بالفعل ..

- لكم أنا سعيد أنك لست هى !..

- د . (عاصم) ..

- نعم أربها الزميل ؟ ..

- إن كونى لست هى لا يعطيك الحق فى إصابتى بالعمى

بهذا الكشف !

استدرك معتذراً ، وأطفأ الكشاف وقد بدا عليه الخجل ،
وبدأنا فى صمت السير على الطريق الترابى المؤدى إلى
دار أخى .. كان قد وصفه لى بدقة صباح اليوم وتظاهرت
بأننى أجهله ، وبعد دقائق بدأ صوت لهائنا يتعالى فلم يكن
واحد منا يتمتع بلياقة طيبة ..

لأحب كثيراً هذا الصمت المريب ..
ومن بعيد لاحظت لنا دار أخى ... كنيبة حزينة مسرلة
باللون الأسود .. نظرت له وهمست مشيراً إلى الجهة
الغربية :

- فلتتوغل أنت فى هذه المزروعات وانتظر هناك ..
- وأنت ؟ ..
- إذا حدث ما يريب عليك أن تصدر صوت البومة ..
- وإذا كان الخطر داهماً فلا عليك .. اصرخ ..
- وأنت ؟
- سأتوغل أنا فى حقل الذرة القبلى !! ..



الحقل القبلى هو المكان الذى سمعت منه ذلك الصوت
ينادى أخى .. توغلت بين أعواد الذرة التى تتجاوز
بارتفاعها قامتى .. صوت خرفشة الأوراق الجافة وأشياء
قاسية كنصل السكين تخدش وجهى ، سيكون من الصعب
رؤية أى شىء من هذا المكان .. حتى ولو كان هذا الشىء
على بعد سنتيمترات من وجهى ..

ظللت أتوغل وأتوغل حتى وصلت لمساحة خالية في
الحقل فتوقفت وقد تسارعت دقات قلبي من الانفعال ..
رفعت رأسي للسماء فرأيت النجوم واضحة مميزة كما
أراها من قبل .. ومن بعيد استطعت أن أرى بيت أخي وحيداً
بانسًا مسربلاً بالظلام ..

لم يكن هناك قمر .. وأنا أفضل ذلك ، لأن الظلام
الدامس لا يخيف .. إن ما يثير الهلع هو الأضواء الخافتة
الظلال لأنها تثير الخيال ، تذكرت قصة الغرفة الحمراء
لـ (هربرت جورج ويلز) .. حين كان على البطل أن يقضي
ليلة سوداء في غرفة مسكونة بالأشباح ، وقد أضاء
شموعاً كثيرة لتؤنس وحدته لكنها زادت رعبه حتى كادت
تؤدي به للجنون حين كان عليه أن يواجه الظلال التي
يحدثها انطفاء شمعة من حين لآخر !

نعم .. أنا أفضل الظلام الدامس بلا شك .. الظلام
الدامس المتجانس المسطح .. إن إيقاد شمعة أو مصباح
خافت أو ضوء القمر الشاحب لكفيل بأن يجعلني أموت
هلعاً ..

ومضت الدقائق ..

افترشت الأرض وجلست القرفصاء .. والآن هوذا
عبيى الأساسى الذى لم أتخلص منه أبداً والذى لم يخطر لى
ببال .. الملل ... تباً لهذه النداهة الكسول ...! ما ذنبى أنا
كى أقضى ليلتى بانتظار اللحظة التى ترأف فيها تلك
الملعوننة بحالى وتأتى من عالمها الجهنمى لقرعبنى ؟!..
إذا لم تفعل ذلك الآن فلاداعى لتفعله أبداً ..



مضت ساعتان ..
المشكلة فى هذه المسوخ المرعبة أنها لا تأتى أبداً حين
تريدها ..

والآن يغفو (رضا) فى فراشه غير عابى بشيء ، وتمام
(نجاة) جواره تفكر فى مصيرها من بعد رحيله ؛ وكل
القرية نائمة لا تدرى شيئاً عن المخبولين الذين قررا قضاء
الليل فى الحقول دون ميرر ..

أشعلت سيجارة وطفقت أبندن ..
لا أدرى لماذا تذكرت هذا اللحن الحزين فى هذه اللحظة
بالذات :

فبين الولد يامه ؟ قالت نسي أهله ..
كان اللحن مناسباً للموقف لكنه خرج من فمى غليظاً
أجش كأنه نذير ، ولقد أثار رجفة فى عروقى أنا نفسى ..
ما الذى جعلنى أتذكره ؟!

وهنا ..

انتابني شعور غريب بأنني لست وحدي ، في مجال
بصري لمحت شيئاً ما .. أدت وجهي في ببطء تجاه هذا
الشيء .. فلمحت ما يشبه فتاة طويلة مسربة بثوب طويل
أسود تسير في تودة على بعد خمسة أمتار مني في خفة
كانها (تسرى) ولا تمشي .. لا يوجد أى نوع من الاتبعاج
تحت ثوبها يوحى بحركة القدمين ..

ساب البلد لما الغولة نادت له

لما تدر وجهها لي كأنها لا تراني أساساً ... وفي هذا
الظلام لم أكن لأراها حتى لو نظرت لي ... أحسست
بعمودي الفقري يتجمد وقلبي يكاد يثب في حلقى ... إنها
تنظر .. إلى دار (رضا) ..

فين الولد يا ولاد ؟ قالوا الولد مسحور

أما ما جعلني أدرك أن الأمر كله ليس وهماً فهو هالة
الضوء الأخضر العجيبة المحيطة بها .. كأنها تشع هذا
الضوء من الداخل .. من تحت ثوبها ... إن ما أراه الآن
لهو شيء غامض بكل المقاييس .. شيء لا أدري كنهه لكني
لا أجرو على ترك المكان قبل فهم ما يحدث ..

سافر وراها بلاد وادي السنين بتدور

والآن توقفت الفتاة وقامتها منتصبية وصدرها يعلو
ويهبط .. ثم رفعت عقيرتها بالنداء وهي تنظر لأعلى كذئب
يعوى أمام قرص القمر ..

- (رضا ااااه) !.. (رضا ااااه) !

إنه نفس الصوت الطويل - كالنحيب - المدوى كأنه قادم
من أعماق الجحيم ... نفس المقاطع المملوطة .. نفس
الحشرة التي سمعتها في تلك الليلة عندما عدت من
القاهرة ..

- (رضا ااااه) !.. (رضا ااااه) !..

والآن حان وقت انتهاء هذه المهزلة ... نهضت من
مكانى وفي هدوء وحذر اتجهت إليها وكانت تدير ظهرها
لى .. ضوءها الأخضر الغامض يغلف معالم جسدها
ويسقط على ثيابى ... حين صرت خلفها تمامًا تتحننت
لأبدأ الكلام .. فقد انحسرت الحروف فى حلقى ..

فين الولد يامه ؟ قالت نسي أهله

قلت وأنا أرتجف :

- ماذا تفعلين هنا أيتها الفتة

وهنا التفتت لى ..

ساب البلد لما الغولسة نادى له

من ذا الذى قال إن النداهة رائعة الجمال ؟ .. أنا لم أر

ولم أتخيل قط وجها مريعا كهذا الوجه .. وجه شاحب
كالموت .. عيان عميقتان حدقتاهما حمراوان بلون
الدم .. شفتان مشقتان .. لا أنكر أن هناك جمالا ما من
نوع خاص كجمال الساحرات الشريرات كان موجودا لكنه
جمال قاس شنيع .. خصلات شعرها سوداء فاحمة مصففة
بعناية ، وعنقها طويل شامخ و شامة كبيرة زرقاء
على الخد الأيسر ..

لم يتسع الوقت لأعصابي كي تستوعب كل شيء ..
لأنى صرخت وصرخت كما لم أصرخ من قبل .. نسيت كل
شيء عن المسدس الذى فى جيبى .. لم أكن أريد سوى
الخروج من هذا الموقف إلى مكان لا أدرى فيه هذا
الوجه ..

فين الولد يا ولاد ؟ قالوا الولد مسحور
وشرعت أجرى وأتعثر .. وأنهض .. ثم أجرى ..
أعواد الذرة تلطم وجهى ، وقلبي يخفق .. وتفكيرى كله قد
تبدد إلا من الأغنية المشنومة وثعبانين يلتهم كل منهما ذيل
الآخر لا أدرى كيف تسربا إلى عقلى الباطن ..
ومن بعيد عاد صوتها يتردد فى إصرار :
- (رضا ااااه) !.. (رضا ااااه) !

★ ★ ★



وشرعت أجرى وأتعثر .. وأنهض .. ثم أجرى .. أعواد الذرة
تلطم وجهي ..

وفى الظلام اصدمت بجسد بشرى ، فأجفلت وشرعت
أوجه لكلمات خرقاء إلى ما ظننت أنه مقتله .. فسمعت
صوتًا مألوفًا يبسل ويهتف بى :

- دكتور (رفعت) !.. هذا أنا .. (عاصم) !
(عاصم) من !؟ .. الآن تذكرت .. دكتور (عاصم) الذى
بدأت معه المغامرة .. أنار الكشاف وشرع يهدئ من روعى
على حين أخذت أرتجف وأحكى له ما حدث فى كلمات
سريعة ..

- إذن هى هناك ؟

- بالطبع يا أحمق ..

- إذن هيا بنا هذه آخر فرصة لنا ..

وشرعنا نجرى إلى المكان الذى رأيتها فيه ... وهناك

- وعلى ضوء بطاريتينا - لم يكن شئ سوى السكون

المريع وصوت ضفدع ينقُ مغازلًا أثناه ..

أين ذهبت تلك الفتاة !؟ ..

- هل أنت واثق مما رأيت !؟

- بالطبع ..

- ولماذا لم تقبض عليها !؟

احمرّ وجهى - وهو ما لم يره فى الظلام - وقلت بمزيج

من الخجل والحنق :

- ليتك كنت هناك مكانى .. لم تكن هناك فرصة لأى
شئ ..

- إلى هذا الحد كان المشهد مرعباً ..؟
- مريعاً ..

- وأين تظنها ذهبت ؟!

- إلى المكان الذى منه جاءت بالطبع ..
تفكر حيناً ثم تتأعب ، وقال :

- على كل حال فإن من رابع المستحيلات أن تجد أحداً
بين عيدان الذرة النامية ، يبدو أن حفل الليلة قد انتهى ..
فلنعد إلى الوحدة ونتناقش ..

أنت فى حاجة لكوب من الشاى ..
- نعم ولأريب ..

★ ★ ★

- والآن دعنا نسترجع ما حدث ..

كانت (عواطف) زوجته تعد لنا الشاى على موقد
الكبروسين ، فى حين جلسنا نرتجف - أنا ود (عاصم) -
على الفراش ... لم أصدق لحظة أننى منذ عشر دقائق
واجهت الندامة .. الندامة بعينها ..

شرعت أعيد حكاية القصة ، فى حين شرعت
(عواطف) تتصعب وتمصص شفيتها حتى إذا وصلت
لجزء المواجهة صرخت بصوتها المبحوح

- يالهوى !.. كفاك هذا فقد اقشعر جلدى !

ضحك د. (عاصم) فى طرب ...، إن الرجال يحبون أن
تفرع النساء .. والنساء الذكيات فقط يعرفن كيف يستغلن
هذا ...، كائن بخوف النساء العتيد من الفئران مجرد تعلق
لغرور الرجل ..

قلت فى تواضع وأنا أرشف كوب الشاي :
- أنت اقشعررت من مجرد كلمات ...، أما أنا فقد عشت
الموقف وجهًا لوجه وسيظل يطاردنى حتى أموت ..
قال د. (عاصم) فى اهتمام :

- صفها لى ..

هرشت ذقنى فى تردد ، إننى أعرف شكلها تمامًا لكنى
لا أستطيع وصفه ...، ثم خطرت لى فكرة فتناولت ورقة
وقلمًا وشرعت أخط شيئًا ما ..

- آه !.. سترسمها ؟

- بالطبع .. فأنا رسام لا بأس به ..

وعلى الورق بدأ الوجه يولد .. العينان الشاخصتان ..
الشفتان الممزقتان خصلات الشعر الناعم الأسود منسدلة

على الجبين ، ثم العنق الطويل الأبيض ... صورة لا بأس
بها ، لكنها لا تشبهها كثيرًا .. فقط مفيدة لمن لم ير نداهة
من قبل ..

مددت يدي بالورقة إلى (عاصم) ، فتناولها بتأملها
ومطت (عواطف) عنقها الطويل في فضول لتري
ما هنالك ، أطل (عاصم) النظر إلى الصورة ثم أعادها لى
واجبًا ... أعدت تأمل الصورة .. هناك خطأ ما ارتكبته ..
فقد نسيت أن أظلل العينين لتكونا حمراوين كعيني
النداهة ، ثم إننى لم أرسم الشامة الزرقاء على الخد
الأيسر .. لهذا بدت الصورة أكثر بشرية مما كانت عليه
تلك الشيطانة حين رأيته .. مجرد فتاة جميلة أخرى ..
ثنيت الورقة ووضعتها فى حافظتى ؛ ونهضت
للانصراف .. فلم يحاول أحدهما استبقائى .. قال (عاصم)
فى شرود :

- وبعد .. هل سنواصل ما بدأناه باكراً ؟
- طبعاً .. إننا لم نصل لشيء .. والساعة الآن الحادية
عشرة مساءً ..
- لو كنت مكانك لأخذت الحذر ..
- ولم ؟

نظر لي نظرة حنوناً غريبة من خلف نظارته السمكة ..

وهمس :

- لقد عطلت مشروعها لهذه الليلة ، والنداهة لا تترك
أبداً من يعترض سبيلها ! والآن فلتشرب كوباً آخر من
الشاي قبل أن تنصرف !..



٨ - النداء ..

فى الواحدة صباحًا عدت لدارى فخلعت ثيابى وارتميت
على فراشى منهكًا .. ما أطوله من يوم !!.. كان الصداع
يقتلنى والدوار يعصف بى .. وثمة انفصال كامل عن
الوجود فى كل كيانى ..، ولكن .. الواحدة صباحًا ..!؟.. لقد
ودعت د . (عاصم) منذ ساعتين .. فهل استغرقت ساعتين
فى الوصول لدارى ؟!.. لا أذكر شيئًا ولا يهمنى أن أذكر ..
كل ما أريده الآن هو أن أنا اااام ..!

ولم أدر متى غلبنى النعاس ..

وفى ساعة مبكرة من صباح اليوم التالى استيقظت
وفى جاف كالحش وفى ذهنى صورة واحدة ملحة ..
ثعبانان يلتهم كل منها ذيل الآخر .. أين لمحتها ؟

ومتى ؟ .. وما معناها ..!؟..

ولم يستمر تساؤلى لأنى غفوت ثانية ..

.....



على الطهلية جلست ألثم البيض والفطير الذى أعدته
لى أختى (رئيلة) .. وكنت شارد الذهن إلى درجة أثارت
قلقها .. شرعت تحدثنى فى مواضيع عديدة بدت لى بعيدة
جداً ومبتذلة فأغلقت أذنى وشرعت أهمهم بنغمات مختلفة
توحى بالمتابعة .. كأنى أوافقها فى الراى :

-

- هم م م .. !

-

- هم م م !

- !؟.....

- هم م ..

وهنا لمحتها تنظر لى فى ضيق ودهشة وتقول :

- إننى أسألك !

لقد أجبتها على سؤالها بهمهمة توحى بأننى أتابعها .. !
وهكذا افترض شرودى بشكل مخجل لابد أنه أشار
حفيظتها ... قلت فى ارتباك :

- لا مؤاخذه ! .. ماذا كنت تقولين ؟

- أنت لا تسمعى ألبتة .. أقول لك ماذا ستفعل مع

(رضا) ؟ !

- وهل هناك جديد ؟!

- نعم .. أرسلت لنا امرأته صباح اليوم تقول إنه ..

- هرب ؟!

- لا .. ليس بعد ... نادته النداهة أمس فمزق قيوده

وكاد يهرب ، حتى أنها اضطرت للاستعانة بالجيران كي يمنعوه .. لم تكن تريد أن يعرفوا ..

لم تكن تريد أن يعرفوا ؟ .. هذا غريب ..

- وهل هي لم تخبر أحدا بالموضوع حتى الآن ؟

- بالطبع .. أنت تعرف امرأة أخيك .. إنها لا تحب

الشماتة .. إنها تخفى السر وتزعم للجيران وأصدقائه أنه مريض ..

- إذن أنا أول من فحصه ؟!

- طبعاً .. وكنت أقول إن ..

إن شيئاً فى هذا الكلام لشديد الأهمية ..، إنه يعنى ..

ولكن يالتشوش ذهنى !

لا أستطيع أن استخلص شيئاً من هذا الكلام لكنه يوحى

لى بفكرة ما هامة جداً .. وقد نسيت ما هى ! ..

شفنا أختى لم تزالا تتحركان بكلمات كثيرة .. ألن تكفى

عن الكلام أبداً ؟! .. أنا لا أفهم حرفاً مما تقولين فضلاً عن

سماعه أصلاً ..، والآن من المحتمل أن أزور (رضا)

لأطمئن عليه وتلك المرأة الكتوم قوية الشخصية زوجته ..

أنهيت إفطاري وشربت الشاي ، ثم إنني غادرت الدار
متجها إلى بيت (رضا) تعمدت أن أعبر حقل الذرة الذي
حدثت فيه أحداث الأمس... وفي المكان الذي وقفت فيه
النداهة توقفت وشرعت أتفحص التراب .. كانت هناك آثار
أقدام لحذائي الكاوتشوك الذي ارتديته ليلاً .. وعلى بعد
أمتار كانت هناك آثار أخرى غريبة .. حفر دقيقة عميقة
في التراب لا يمكن أن يرسمها حذاء .. بل هي - إذا أردنا
الدقة - أقرب للآثار التي ترسمها أقدام القط حين يزحف
في حذر نحو عصفور !..

اتجهت نحو دار (رضا) وقرعت الباب ففتحت لي
(نجاة) :

- أنت لم تدري ما حدث أمس وأنت نائم في العسل ..
هكذا صرخت بمجرد أن رأيته فأوقفتها بحزم رافعا

يدي :

- أعرفه .. ولم أكن نائما في العسل... سامحك الله ..

- إذن أين كنت ؟

- كنت واقفا في البرد والعراء أنتظر نداهتك ..

ورأيته .. وسمعتها تنأيه ..

- وماذا فعلت ؟

- لا شيء .. ذهبت أطلب نجدة وحين عدت لم أجدها ..

- يا خبيثك !!

إن هذه المرأة ستحطم أعصابى .. لماذا أتحمل وقاحتها
وسخفها دون أن أحطم رأسها ؟!

للأسف أنتى مضطر لهذا لأنها هى الضريبة التى أدفعها
وسأظل أدفعها كلما أردت العبور إلى عالم أخى .. إنها
سيدة الدار .. ولا مفر من ذلك !

تأملت وجهها .. خصلات شعرها الأسود الناعم ..
عينها المحملقتين .. إن هذه الملامح تذكرنى بشيء ما ...
ثم إن شفتيها مشقتان بصورة غير عادية ، وكانت تكشف
عن عنق طويل أبيض ... لا أريد أن أكون متحاملاً لكن هذه
المرأة تشبه النداهة إلى حد لا بأس به ...! ثم لا تنس
- وهذا هو الأهم - تلك الشامة الزرقاء الغريبة على خدها
الأسير ... إنها تشبه النداهة لكنها ليست هى .. لا يمكن أن
تكون هى ...!

- فيم أنت شارد هكذا ؟!

ابتلعت ريقى .. قد تكون مصادفة وقد يكون إحياء
تركته فى نفس أحداث البارحة ، وقد يكون انعكاساً
لكراهيتى لها لكنى لا أتخيل للحظة الميرر ولا الحافز الذى
يجعلها تترك زوجها وتخرج ليلاً لتنادى عليه من خارج
البيت ...! سيكون تكراراً سخيلاً أن تكون كل فتاة أقابلها
ذات شخصية شريرة أخرى .. (إيكاترينا) تتكرر فى صورة
مذعوب فى رومانيا و (نجاة) تتكرر فى صورة نداهة فى
مصر ...!

كلا .. لن تؤثر هذه الملاحظة العابرة على تفكيرى ...
لحظ لأحتفظ فى ذاكرتى بهذه النقطة ولا أنساها أبداً :
(نجاة) تشبه الندامة إلى حد ما ...، لربما أفاننتى هذه
المعلومة يوماً ما ...، ودعتها وانصرفت متجهاً لدارى ..
على أننى توجهت إلى الوحدة الصحية لأرى شيئاً ما فى
مكتب المواليد ثم عدت لدارى بعدما دون أن أقابل
(عاصم) ..



بدأ المرضى يتوافدون إلى دارنا .. فعدت أمارس عملى
فى الغرفة الجانبية إياها ، وكنت شارد الذهن مما أثر على
سلامة تشخيصى ، ولأكثر من مرة تردّد القلم فى يدي
محاولاً لتذكر اسم نواء ما .. ونسيت كثيراً من الوجوه التى
رأيتها أمس .. الخلاصة أن أدائى كان مثيراً للشفقة إلى
حد لا يوصف ..

وحين جاء العصر صعدت لغرفتى وتناولت لقمة أعدتها
لى أمى للغداء .. ثم تمددت فى فراشى لأستريح استعداداً
للسهرة القاسية التى تنتظرنى هذه الليلة .. وسرعان
ما غلبنى النعاس ، فنامت نوماً هادئاً لأحلام فيه ..



صحت في الظلام الدامس .. ما الوقت الآن ؟!..
نظرت لساعتي الفوسفورية فوجدت عقاربها تشير
للعاشرة مساءً .. لقد خائني التعب وتأخرت ساعتين عن
موعدى فى الوحدة مع د. (عاصم) ... يجب أن أرتدى
ثيابى وأهرع إليه قبل أن يُجنّ ..

ارتديت (عذّة الندامة) التى وصفتها لك .. المسدس
والمصحف والسجائر والحذاء الخفيف .. ثم اتجهت للباب
كى أخرج ، وهنا سمعت صوتًا غريبًا .. صوتًا قادمًا من
ناحية الساقية المجاورة لبيتنا .. صوتًا طويلًا ممطوطًا
كالنحيب .. صوتًا أعرفه جيدًا يقول :

- (رفعاااات) !.. (رفعاااات) !

إنها تناديني أنا .. أنا بالذات !.. لقد جاءت لحظتى ،
والآن لن أبحث عنها ولن يكون هناك المزيد من الانتظار
الليلي الممل ... كل ما علىّ هو أن أخرج من البيت ولسوف
تكون هناك بانتظارى ..

- (رفعاااات) !

وهنا انفتح الباب ولمحت أمى وأختى و(طلعت) زوج
(رنيقة) يدخلون الحجرة وثمة شمعة مضاءة فى يد أمى ..
ونظرة هلع فى عينيها الذابلتين :

- بسم الله الرحمن الرحيم !.. إنها تناديك يا بنى ؟!..
ثم لمحت استعدادى للخروج ... فصاحت :

- لا .. لن تذهب !..

قلت فى غلظة على الرغم منى :
- اسمعى يا أمى .. لا ادخل لأحد بهذا .. إنها مشكلتى
وسأحلها بنفسى ..

ضربت على صدرها فى لوعة :
- الحقونى أيها الناس !.. هل أفقد الولد وأخاه ؟
بينما الصوت يتردد فى إصرار وبرود :
- (رفعاااااات) !

اتجهت للباب .. إن شيئاً ما فى هذا النداء لا يقاوم أبداً ..
ثم مشهد وجهها .. لا بد لى أن أرى هذا الوجه مرة
أخرى ... كم هو فاتن !.. كم هو غريب !.. كم هو شيق !..
لن يستطيع هؤلاء منعى بدعوى الحنان الأسرى ..
أمسك (طلعت) ذراعى بيده القوية - كالمنجلة - وقال
بخشونة :

- (رفعت) .. لا أريد أن أؤذيك !..
قلت فى حنق محاولاً انتزاع ذراعى وقد سقطت نظارتى
على الأرض :

- لا شأن لك يا (طلعت) بهذا .. دعنى ..
فازدادت قبضته ثباتاً ... وهنا دوى الصوت مرة
أخرى :

- (رفعاااااات) !



أمسك (طلعت) ذراعي بيده القوية — كالمنجلة — وقال بخشونة :
— (رفعت) .. لا أريد أن أؤذيك !..

كلا...!.. لن أضيع هذه الفرصة!.. حاولت التملص فى هياج فكانت فرصة رائعة لـ (طلعت) كى يستعرض قواه.. لا أنكر سوى معركة عنيفة كنت فيها الطرف الواهى جداً..

وكانت أمى تولول ، وأختى تلطم خديها بينما طفلها يمسك ذيل ثوبها وينشج... (طلعت) يوجه لى اللكمات ثم يلقى بى على الفراش الخشبي العتيق.. أختى تناوله حبلاً من الليف يعقده حول كاحلى وهو يلهث.. ثم يلفه حول معصمى ، قاومت.. صرخت.. تسلخ لحمى لكن القيد كان محكمًا.. ثم استسلمت منهكًا..، الصوت لم ينفك ينادى :
- (رفعاااات) !

أطلقت أختى سبة.. وهتفت :

- ألن تخرسى يا بنت الـ.....!؟

ثم شرعت تقول وهى تبكى وقد اكتسب كلامها نغمة محبة للنفس :

- أولًا (رضا) .. ثم هوذا أختى (رفعت) زينة الرجال ..

ليتك لم تأت من مصر ..

ليتك لم تأت ، ليتك تركتنا فى يؤسنا ..

لماذا تبكى هذه المرة!؟.. أنا لأرى مصيبة ما فى هذا

الذى يحدث .. كل ما هناك أن هذا القيد يثير حفيظتى وأنى

يجب أن أتخلص منه بأسرع ما يمكن .. هناك تقف حبيبتي
الرفيقة في ثوبها الأسود تنتظرني وتناديني .. فعلام
لا ألبى نداءها ؟!



لم أدر بشيء مما حدث في الأيام التالية ..
هلوسة متواصلة مضطربة تداخل فيها د . (ريتشارد)
مع (استيان) والمذعوب مع مومياء (دراكويلا) ومشهد
وفاة (إيكاترينا) ود . (عاصم) ووجه النداهة ووجه يهوذا
والثعبانين اللذين يلتهم كل منهما ذيل الآخر ..
فيما بعد حكى لى (رئيفة) كل شيء ..
كنت ذاهلاً عن العالم أرمقه بعينين مفتوحتين لا تريان ،
ولم أكن أكل لهذا كانوا يطعموننى قسراً كالبيط ...، وقد
أحرقت أمى أطنائاً من البخور جوار فراشى وقرأت سورة
(يسن) مئات المرات ..

أما (رئيفة) فقد أحضرت مشعوذاً - نصاباً كالعادة - كي
يحاول فكّ اللعنة التى تكبلنى .. وبالطبع أحرق مزيداً من
البخور وردد عشرات الرقى وطلبت مئات الطلبات ثم
انصرف زاعماً أن هناك جنياً حانقاً على لائى لم أجلب له
ما أراد من هدايا ..

وكان (طلعت) أكثر مادية فى تفكيره .. إذ ذهب للقرب
وأحضر د. (عاصم) طبيب الوحدة كى يرانى .. وقد أبدى
هذا الأخير أسفه ولوعته ، وقال إنه خمن أن هذا حدث
حين تأخرت عن موعدى معه ، وحكى لهم قصة لقائى مع
النداهة .. ثم إنه أعطانى حقنة مهدئة وعرض خدماته فى
أى وقت ونصحهم بفك القيود من حين لآخر والسماح لى
بالتقلب فى الفراش حتى لا أصاب بقرحة فراش .. وأخذ
جنيهاً ثمن الكشف برغم أن هذا ممنوع حسب قوانين
النقابة ..

ياله من نصاب ! ..

وفى كل ليلة - حكى أختى - كانت النداهة تتنادينى من
جوار الساقية .. فكنت أتململ وأتقلب وأحاول النهوض
لكن القيود كانت أقوى منى ..

وفى ذات مرة أصر (طلعت) على الخروج ليرى هذه
الشيطنانة لكن أمى وأختى توسلتا إليه أن يبقى .. فهما
ليستا على استعداد لفقد آخر رجل فى الأسرة .. وقد
اضطرت أختى لأن تلثم يده كى يكبح فضوله القاتل ،
فرضخ لرغبتها ..

كم من الوقت استمر بى هذا الحال ؟ ..
أسبوعين ! ..

وكيف انتهى؟! .. إن لذلك قصة صغيرة سأحكيها لكم ،
ولكن لا تتعجلوني ..



وصل خطاب باسمي ، تسلمه (طلعت) زوج أختي ...
ولم ير فائدة ما من إطلاعي عليه لأنني قد انفصلت عن
العالم تمامًا .. لهذا نسيه تمامًا في جيب جلبابه .. ثم إنه في
إحدى الليالي فكر في أن يتلوه بجانب فراشي لعل شيئًا فيه
يثير انتباهي أو يكون أمرًا ذا بال يمكنه هو التصرف فيه ..
وعلى ضوء مصباح الجاز شرع يقرأ .. كان الخطاب
من تلميذي د . (علاء عبد الصمد) يتحدث فيه عن عينة
الدم التي أخذها ليحللها في معمله بالقاهرة :
- عزيزي د . (رفعت) :

لم أستطيع الحضور بنفسى كما أنني لم أستطع الاتصال
تليفونيًا لأن القرية لا يوجد بها تليفون ، لهذا أرسل هذا
الخطاب وفي تقديري أنه لا يستغرق سوى ثلاثة أيام
وبالتالي لن يسبب التأخير مشكلة ..

لقد قمت بإجراء التحاليل التي طلبتها .. وكما توقعت
أنت لم أجد أي دليل على مرض السكر أو الكلى أو الفشل
الكبدى أو تغير حموضة الدم ... كما أن نسب
الكهارل (★) لا بأس بها .. ومزارع البكتريا سلبية كلها ..

(★) الكهارل أو الإلكتروليتات هي أيونات الدم الموجبة
والسالبة ..

باختصار .. لاشيء على الإطلاق ..

ثم قمت بإجراء تحليل كروماتوجرافى فى كلية الصيدلة
بحثاً عن سموم معينة وبعد بحث مدقق مرهق وجدنا فى
العينة نسبة ضئيلة جداً ولكنها محسوسة من مادة
الباربيتورات ..

كان (طلعت) يقرأ بلفته المضغضة البواهية ، وقد
عانى الأمرين فى نطق كلمات مثل (كهارل) ..
(كروماتوجرافى) ... (باربيتورات) لكن الكلمة الأخيرة
وصلتني كاملة سليمة .. واستقرت فى وعيى لتحدث هزة
كاسحة .. ومن ثم رددتها خلفه - هكذا قال - وكانت أول
لفظة أقولها منذ أسبوعين مما أحدث له هزة فرح
عارمة .. وشرع يكبر والدموع تغطى عينيه :

- وا (رفعت) !.. لقد نطقت أيتها الرجل الطيب !..

نطقت !

هأنذا .. حى أرزق .. لا أدري ما حدث لى ولا يعنينى أن
أعرف .. فقط أريد هذا الخطاب حالاً .. يجب أن أعرف
ما به ... ولكن .. إننى مقيد للفراش كالذبيحة .. من فعل
هذا ؟ .. (طلعت) !؟ .. ولماذا !؟ .. أذكر شيئاً عن النداهة
وعن تلك الليلة لكنه مشوش تماماً .. لابد أنهم قيدونى
- هؤلاء الحمقى - لكيلا ألقى بالآخرين .. قلت فى صوت
متحشرج :

- (طلعت) !.. أنا بخير .. أرجوك أن تفك قيودي ..

نظر لى فى حيرة ولم يرد ..

- (طلعت) !.. دعنى أنهض وسأخبرك بكل شيء .. لقد

زالت الغيبوبة !..

وجهه مغطى بالظلال ولا يريد أن يرد ، من حقه ألا

يصدق لكن كيف أقنعه ؟

- (طلعت) !.. صدقنى .. أنا لا أكذب ..

نهض فى حزم ووضع الخطاب فى جيبه ... وقال لى

بجفاء واضح :

- استعذ بالله يا دكتور ولا تلب نداء الشيطان .

- ولكن ..

- إنها تلك الملعونة تحاول أن تدعوك إليها .. لكنك

لن تخدعنى !..

وحمل مصباح الكيروسين فى يده متجها للباب ،

وفتحه .. وقبل أن يخرج قال مكررا فى اشمزاز كأنه

يبصق ..

- لن تخدعنى !



٩ - أخيرًا فهمت !

في ظلال الليل ومع قيدي الإجباري بدأ تفكيري بنشط
ويصفو حتى وصل ذروته .. وبدأت أحل الحقائق وأفندها
.. كل كلمة وكل صورة وكل موقف كان له دورها في هذه
القصة ..

بدأت الصورة النهائية تكتمل لكن ثغرات عدة كانت
تملؤها .. المهم الآن أن يطلقوا سراحي ولو قليلاً لأنني
بحاجة إلى الحركة ..



في الصباح جاءت (رليفة) بالانفطار ؛ وجلست جوارى
على السرير وشرعت تدس لقيمات مغموسة بالعسل في
فمي .. اللعنة !.. أنا لا أحب العسل إن كل ما مررت به من
تجارب مروعة لا يساوي عندي أن أكل العسل وأنا مقيد
بالحبال ! لهذا بصقت ما في فمي جعلها تجفل .. وصحت :
- (رليفة) .. أنا بخير .. لقد شفيت ..

- يارب !

- لقد استجاب الله بالفعل لدعائك .. ألم تلاحظي أنني
أتكلم ؟

- لقد أخبرني (طلعت) .. وأخبرني أيضاً أن هذه خدعة
من النذاهة !..

بالفباء .. من حسن حظها بالفعل أننى مقيد .. قلت
فى غيظ :

- ومتى ستقولين إننى شُفيت إذن ؟

- حين .. حين تُشفى !

ماذا أفعل مع هذه الحماة العريزة ؟ .. إن ذهولى هو
دليل مرضى - كما تعتقد - إلا أن عودتى للواقع هى دليل
أكثر خطورة على نفس المرضى .. أخذت نفساً عميقاً
وقررت أن أسايسها برفق :

- (رليفة) ..

- نعم ..

- إن النداهة تنادى ليلاً .. أليس كذلك ؟ ..

- بلى ..

- ونحن الآن فى الصباح .. أى أن رغبتى فى التحرر

لا غبار عليها ..

- طبعاً ..

- إذن لماذا لا تحضرين سكين المطبخ وتقطعين

قبودى ؟

قالت وهى تعلم فتات الفطير المتساقط على صدرى

وذلتى ..

- إن (طلعت) قد حلف على بالطلاق لو أننى فككت

قبودك ، هو لا يريد سوى مصلحتك ..

اللعنة !.. ها هي ذي الأمور تأخذ طابعا متأزما لا مفر منه .. لو حررتني فقد فقدت زوجها وأسرتها .. قلت في حنى :

- إذن سأقضى حياتي هكذا ؟.. حتى إذا شفيت من نداء النداهة ؟

نظرت لى فى حسرة وهمست :

- إن أحدا لم يشف من نداء النداهة أبدا .. ولهذا نحن واثقون أنك لم تشف .. هذا هو كل شيء !

آه .. بالمنطق المحكم الخرب ..! أمامى الآن حلان ..
إما أن أقضى نهارى فى محاولات خرقاء لفك القيود أسفا
على أننى لم أكن هودينى (*) وإما أن أخبرها بكل
استنتاجاتى آملا أن تتولى هى مهمة كشف السر .. لكنها
لن تفهم حرفا مما سأقوله لها ولن تصدقه ..

فى هذه اللحظة دخلت أمى الحجرة هاتفة فى مرح :

- صباح الخير يا بنى ... لقد جاء حبيبك ..

- حبيبى ؟!

- نعم .. د. (عاصم) وزوجته للاطمئنان عليك .. قل له

كل ما تريد ..

(*) (هودينى) ساحر عالمى شهير اشتهر بقدراته على فك
القيود والهروب من الفخاخ مهما كانت محكمة .

- أقول له ما أريد ؟!.. إن الإغراء شديد بالفعل ..



دخل د. (عاصم) بصلعته المميزة الغرفة حاملاً حقيبة
الفحص ووراءه زوجته (عواطف) وقد بدت فى أجمل
حالاتها فى ضوء النهار...، وما إن رأى حتى اتسع ثغره
بابتسامة بلهاء وصاح :

- الحمد لله على سلامتكم أيها الزميل!.. أخبرتنى
(الحاجة) أنك قد تكلمت بالأمس ..

كانت نظراتى مثبتة على (عواطف) .. على قلائدتها
بالذات ، وقد لاحظت نظرتى فأغلقت زر قميصها العلوى
فى شيء من الحرج ، وغمفت :

- حمداً لله على السلامة !

التفت د. (عاصم) إلى أمى وقال فى مرح :

- نريد الشاى ياست الكل ..

ثم التفت إلى ، وجلس على حافة الفراش قائلاً :

- لقد تركت الوحدة فى ساعة الذروة من أجلك ..

- بارك الله فيك .. اجلسى يامدام (عواطف) ..

جرت (عواطف) كرسياً من الجريد وجلست عليه جوار

الفراش وهى تتحاشى النظر لوجهى فى إصرار...، غريب
هذا الاجتماع العائلى بين طبيب سعيد مثله وزوجته مع



وقد لاحظت نظرتي فأغلقت زر قميصها العلوي في شيء من الحرج ،
وغمغمت : — حمدًا لله على السلامة ..

رجل مقيد في الفراش وقد نمت ذقنه المشعثة فبدا
كالمجانين ... دعك من أننى لم أكن قد استحمت منذ
أسبوعين مما جعل رائحتى ككهوف الدبية ..

أحضرت أمى الشاى فنهضت (عواطف) لتأخذ منها
الصينية ، ووضعتها على الأرض الترابية جوار الفراش ،
فى حين قال د. (عاصم) :

- والآن هلا تركتنا بعض الوقت يا حاجة؟! .. أغلقى
الباب خلفك لأننا سنناقش مستقبل ابنك ولماذا لم يتزوج ؟
ضحكت أمى فى مرح ودعت له ولزوجته ثم فعلت كما
قال ..

- والآن هات ما عندك ..

- ومن قال لك إن هناك ما عندى؟! ..

- عيناك ..

- ليس قبل أن تفك قيدي ..

- أما هذا فلا .. لقد وعدت هاتين البائستين .. ولحسن

الحظ أنهم لم يربطوا لسانك بحبل من الليف هو الآخر ..

أخذت نفسا عميقا ونظرت لسقف الحجرة ثم قلت :

- حسن .. سأحدث .. ولكن لاتقاطعنى .. ضع

نظارتى على أنفى على الأقل ..

لك هذا ..

- فى البدء كان الفز غامضًا كالموت نفسه ... ولم يكن هناك بصيص من هدى ؛ لهذا أرسلت عينة من دم مريض لتحليلها فى القاهرة بحثًا عن شيء ما ... وأمس وصلنى التقرير .. يقول إن هناك نسبة ما لا تذكر من مادة الباربيتورات ..

- وماذا فى ذلك؟ .. ألم تعطيه أنت حقنة فينوباربيتون ؟!

- كلا .. لقد أعطيت هذا المريض حقنة فينوباربيتون بعد وليس قبل التحليل ..

أى أنه كان يتعاطى - أو يغطى - هذا العقار فى أثناء مرضه ..

والآن هل تعلم من هو هذا المريض ؟! .. إنه (رضا إسماعيل) أخى ..

- وهل .. هل أخفيت عنى ذلك كل هذه الفترة ؟!
- أنا نفسى لم أر مبررًا لذلك ، لكنى - حين أعيد التفكير - أرى أنه أحكم تصرف فعلته فى حياتى .. والآن دعنا نسترجع الأحداث .. فى كرستك الصغيرة التى أريتنى إياها فى الوحدة حين زرتك أول مرة ذكرت اسم (رضا إسماعيل) وأنه فيمن نادتهم النداهة .. كيف أمكنك معرفة ذلك فى حين أن زوجة أخى لم تخبر أحدًا فى القرية بهذا الموضوع ولم تجلب له طبيبًا غيرى .. ؟!

إنك قيدت اسمه في الكراسة دون أن يخبرك به أحد ..
فما السبب !؟

قال في ارتباك :

- ربما هي كلمة سمعتها هنا أو هناك .. لابد أن الخبر
تسرب ..

قلت في حزم :

- ألم أقل لك ألا تقاطعني ؟.. ثم إنني قايلت النداهة
المزعومة ...، وكان الموقف مريباً لكنني احتفظت في ذهني
بملاحها .. واستطعت أن أرسمها لكنني نسيت بعض
التفاصيل التي كانت تجعلها متوحشة ، مما جعلها أقرب
لصورة أنثى عادية .. حين رأيت أنت و (عواطف) هذه
الصورة أصابكما الوجوم .. لماذا !؟.. لأن الصورة بدت
أقرب إلى (عواطف) منها للنداهة ..، لكنني لم أفطن لهذا
الشبه وقتها وخيل لي أن هناك تشابهاً شديداً مع (نجاه)
زوجة أخي .. إن النداهة التي رأيتها تملك شامة زرقاء
على خدها وهذه يسهل رسمها .. أما الصينان الحمراءوان
فيمكن لعنتين ملتصقتين ملونتين إعطاء الإيحاء بهما ..
أما اللون الفسفوري المشع ليلاً فهو شديد السهولة ، إن
الماكياج الذي كان على وجه النداهة كان متقناً وكان بارعاً
لكن نسيان الشامة يفسد كل شيء ..

أضف إلى هذا أن الأنثى هي الأنثى .. لم تنس
(عواطف) أن تضع قلادتها الذهبية الجميلة - التي ترتديها
الآن - على عنقها وهي تمثل دور النداهة ، لم يتسع عقلى
لاستيعاب شكل القلادة لهذا ظلت مجرد صورة فى ذاكرتى
لثعبانين يلتهم كل منهما ذيل الآخر لأنكر متى وأين
رأيتها... ومن عادات (عواطف) أن تضع يدها على
جيدها فى أثناء الكلام لهذا لم ألحظ أنها ترتدى هذه القلادة
إلا الآن...!

والنقطة الأخيرة هى صوت (عواطف) المبحوح .. إن
سر هذه البحة هو كل هذا المجهود الذى تبذله حنجرتها فى
النداء على الفلاحين ليلاً...، هذا الصوت الرهيب غير
البشرى لابد وأنه أتلّف أحبالها الصوتية ..

ويوم زرتك فى الوحدة أول مرة لم ألق زوجتك .. قلت
إنها كانت فى ولادة بالقرية لكن هذا غير صحيح .. لقد
تفقدت سجل مواليد القرية يومها فلم يكن هناك أى مولود ،
كانت - ببساطة - تنادى (رضا) أخى وقتها...!

قال د.. (عاصم) وقد ارتسم شبح ابتسامته على
ثغره :

- وماذا عن الفلاحين الذين رأوها تمشى فوق الماء ، أو
لا تترك ظلاً ؟

- لقد كاد قلبي يتوقف رعباً وأنا لا أومن بها ... فهل
تتوقع من فلاح أو طفل يراها بهذا الماكياج المريع ألا يفقد
صوابه ؟! .. لا يمكن أن يكون كلامه متماسكاً .. إنه سيراها
عندئذ كما يظن أنها ستكون وليس كما هي في الواقع ...
وعلى كل حال لا أظنكما عاجزين عن تليفق خدعة بصرية
كهذه !

قال د. (عاصم) وهو يتبادل النظرات مع (عواطف) :
ولكن الحالة أصابتك أنت نفسك بكل تفاصيلها
المرعبة .. هل كنت أنت أيضاً تمثل معنا ؟!
تنهدت في يأس وقلت :

- إن هذه هي الثغرة في قصتي ... لكن تذكر أن
المرض هاجمني بعدما كنت عندكم وبعدما شربت الشاي
الذي قدمته لي زوجتك ... ماذا كان في الكوب ؟!
والأهم هو أنني ودعتك في الحادية عشر مساءً
ووصلت داري في الواحدة صباحاً ..
وليس لدى أدنى تفسير لما فعلته أو حدث لي في هاتين
الساعتين ..

إنني كنت ضحية معالجة ما لا أفهمها لكنها تؤدي
لجنون ذهولي دائم .. وأنت وزوجتك هما من يملكان
التفسير ..

نظر لى د. (عاصم) فى ثبات وقال :

- والآن - بفرض صحة كلامك - ماذا تريد ؟

- النصف الآخر من الحقيقة وهو لماذا فعلتما ذلك ؟

أشعل د. (عاصم) سيجارة .. ونظر نظرة ذات معنى إلى (عواطف) فنهضت للحقيقة وناولته شيئاً ما منها .. محققاً زجاجياً مليئاً بسائل أبيض ... وقال لى :

- هناك حقيقة واحدة يازميل !.. لقد كنت قوى الملاحظة لكنك ساذج .. ساذج بشكل مرعب ... وأحمق أيضاً ..

أخيراً !.. لقد اعترف - لأول مرة - بأن كلامى صحيح .. إلا أنه أردف :

- عندما يواجه المرء أعداءه بحقائق كهذه يجب عليه أن يكون فى موقف قوة لا أن يقول كلامه وهو منعزل ومقيد فى الفراش .. والآن أنت تحت رحمتنا تماماً !.. كان يجب أن تنتظر حتى تتحرر .. والآن ..

- حقنة هواء فى عروقى ؟!

- لا .. إنها طريقة فظة ... أولاً سأعطيك جرعة من الباربيتورات لتنام ثم نفك قيودك جزئياً بشكل لن يلاحظه أحد ، وفى المساء سينام الجميع عندئذ ستلبى نداء النداهة .. وستحضر لنا إلى حيث تعرف مصير من سبقوك !..

فُتحت فمى لأصرخ إلا أن (عواطف) كومت الملاءة
وحشرتها فمى حشراً حتى تكتم صوتى ، فى حين شرع
(عاصم) يعزى ذراعى .. وفى تودة أفرغ الحقنة فى
وريدى .. ثم إنه نهض لاهثاً :

- عندما تعود أمك وأختك للغرفة ستعرفان أن مناقشتنا
قد أنهكتك .. وأنتك ستنام طيلة اليوم ..
ثم أعاد محقنه للحقبة .. وضحك :
- أراك هذا المساء أيها الزميل !



١٠ - المعمل ..

استفركت بعض الوقت كي أدرك أين أنا ومن أنا ،
و حين فتحت عيني لم يكن ما رأيته هو حجرتي الفقيرة
الأليفة بل كانت غرفة واسعة تزحف الرطوبة والطحالب
والعفن على جدرانها ..

كنت مقيدًا إلى الحائط بجنزيرين صديين في وضع
المصلوب ... وجواري كان جردل فارغ وغلاية حقن
معدنية موضوعة فوق موقد جاز عتيق ... وكانت رائحة
العقاقير تملأ الجو ... والأغرب هو أنني كنت أرتدى
البيجامة وحافيًا ..

ثم عرفت ذلك الشيء الذي يمنعني من الكلام .. شريط
عريض من البلاستر ملصق فوق فمي ، وكانت قدماي
حرّتين لكن لم يكن شيء في مجال حركتهما ..

رفعت وجهي في هدوء لأرى ما هناك ... كنت قد فقدت
نظارتى لكني لم أكن قصير النظر إلى هذا الحد الذي يمنعني
من تبين تلك الأجساد الآدمية نصف العارية المقيدة إلى
الجدران من حولي ..

كانت هناك أربعة أجساد لرجال في العقد الثاني أو
الثالث من العمر وأحدهم أقرب لسن المراهقة ، كلهم

مقيدون - بنفس الكيفية التى أنا مقيد بها - للحائط .. وعلى
فم اثنين منهما قطع بلاستر لاصقه ، على أنه لم يكن هناك
كثير حاجة لذلك لأنهم كانوا جميعاً فى حالة ذهول تام ..
ولكن .. من هو هذا الرجل ضخّم الجثة الذى أغمض
عينيه وتدلّى رأسه على صدره ؟! .. إنه هو ..!.. (رضا)
أخى !.. هو بعينه ..

الآن تذكرت قصة د. (عاصم) ، والحقنة التى
أخذتها ..، والمواجهة ...، و (عواطف) و يبدو أنه
نفذ تهديده حرفياً وهو يعرف ذلك الذى يفعله جيداً .. والآن
أنا أسيره ، ويبدو أنه لا مفر لى من قبضته .. كل ما على
هو أن أنتظر لأرى ..

أما باقى الغرفة فكان يحوى منضدة عليها أنابيب
اختبار عدة .. وموقد (بنزن) وميكروسكوب ضوئى
متهاك .. وآلة طرد مركزى ..
صوت باب يفتح ببطء ..

وعلى بصيص الضوء الخافت القادم من النافذة
رأيت .. د. (عاصم) وقد ارتدى معطفاً ملوثاً بالدماء ومن
خلفه (عواطف) زوجته ..، وكان يمسك صينية عليها
قواير عقاقير مختلفة الأنواع ..، وفى ثقة انتزع قطعة
البلاستر من على فمى ..

- صباح الخير أيها الزميل !
هتف بي وهو يضحك متشفيًا .. ووضع ما في يده على
المنضدة ..

- كيف حالك ؟

- أفضل مما تتوقع أيها الجزار ! ..

- يبدو أن نوم الليلة لم ينجح في تهذيب أخلاقك .. لقد
فكنا قيودك بشكل لم يلاحظه أحد ..، وحين جاء الليل
نادت النداهة فنهضت من فراشك ووثبت من النافذة
وجئت إلى متحمسًا .. أليس هذا رائعًا ؟!

ثم إنه أمسك بمعصم زوجته وأشار لي :

- تخيلي هذا يا (عواطف) .. أستاذ أمراض الدم العظيم
هو حيوان تجارب في معمل ..! دعينا نعرفه على زملائه
في الأسر ..

ثم مضى إلى الحائط .. إلى الرجال المكبلين بالسلاسل ،
وشرع يشير لهم واحدًا واحدًا :

- هذا الفتى الوسيم هو (إبراهيم السقا) .. شاب في
الثالثة عشرة من عمره ، قلبه ملئ بالعواطف وذمته
ملئ بالطموحات .. إلى أن جاءت النداهة ..

وتحرك إلى رجل أصلع ضخم الجثة ينظر لنا نظرة
خاوية خرساء .

- وهذا الأخ هو (الزغبى فرحات) .. أول ضحاياي ...
وهو رب أسرة ورجل ورع شديد الرزانة ..
ثم تحرك إلى شاب كثر الشارب تدلى رأسه على كتفه ..
- وهذا (سعيد جابر) .. عامل البناء الشاب الذى ضرب
زوجته كي يلحق بالندامة ... أما هذا ..
وتوقف عند أخى ..

- فهو (رضا إسماعيل) ، شقيق الدكتور (رفعت) ..
لقد ضمته للمجموعة أمس فقط بعد أن أخذتك أنت
الآخر ...، والآن تصور مشاعر أمكما التى فقدت ولديها
الراشدين فى ليلة واحدة !!

ثم أشعل سيجارة ، كان يعرف كم هو سمج ويستمتع
بذلك ، لقد وجد أقصى متع الحياة فى أن يكون وغدا ..
- والآن نأتى لموضوعنا الذى أثرته أنت أمس .. ما هو
هدفى من كل هذا ؟ .. دعنى أخبرك بسر صغير
ياد . (رفعت) .. إننى عبقرى ! .. أنت لم تلاحظ هذا بالطبع
لأن العباقرة لا يمشون برأس متضخم كالذى نراه فى
قصص الخيال العلمى .. لكنى أؤكد لك أننى عبقرى ..
وما الذى نلتته من ذلك ؟! .. لا شىء .. سلسلة طويلة من
الاحباطات .. لم أوفق إلى الالتحاق بسلك الجامعة ونفيت
إلى هذه القرية القذرة التى لا تناسب أحلامى ..

وحتى فى الحب ..

وارتجفت شفتاه قليلاً وهو يردف :

- حتى هنا لم أوفق ...، كان رأسى الأصلع ونظارتى السميكة يعوقاننى عن الحصول على الفتيات اللواتى أرغب فى أن يشاركن حياتى ، كل شىء فى الحياة كان يرغبنى على أن أكون ما أرادوه لى .. مجرد فأر أرياف منزو منعزل وفقير .. وحين أموت لن يذكرنى أحد ، ولن يبكى على أحد ..

ونفث دخان سيجارته فى إنهاك .. وأردف :

- وهكذا .. قررت أن أنتقم ...، إننى أعرف أن أسطورة النداهة قديمة فى هذا البلد ؛ لهذا تزوجت (عواطف) .. وبدأت فى تحويلها إلى نداهة حقيقية .. أنت لا تتصور عبقريتى فى الماكياج ...، ولكن .. إنك رأيتها فعلاً وأصابك الذعر هل تنكر ؟

- لم أنكر لحظة ..

- كنت أختار ضحيتى من زوار الوحدة الصحية ، وكنت أنفرد به فأحقنه بجرعة صغيرة جداً من (بنتوال الصوديوم) .. إنهم يسمونه مصل الحقيقة لأنه يضعف الإرادة ...، وهكذا أبدأ نوعاً خاصاً جداً من التنويم المغناطيسى تحت تأثير هذا الدواء ...، وأقنعه أنه يحب

النداهة .. وأن عليه أن يلبي نداءها حين يسمعه في الليل .. وأن يظل صامتًا لا يأكل ولا يشرب في انتظار النداء ..

وفي الليل ترتدى (عواطف) ثياب النداهة الفسفورية وتقف عند بيت الضحية وتبدأ في النداء باسمه ... أحيانًا كان يلبي وأحيانًا كان أهله يحكمون الحصار حوله ... لكنها - مهما طالت المدة - كانت واثقة أنها آمنة وأن أحدًا لن يجروا أبدًا على الخروج لمضايقتها ... أضف لهذا أنني - أو عامل الوحدة - كنا دائمًا على مقربة منها على استعداد للتدخل إذا حدث شيء ..

وكنت أزور الضحية صباحًا فأعطيه جرعة صغيرة (منشطة) من الباربيتورات ليظل وعيه في حالة السبات ، إننى الوحيد فى القرية الذى له الحق فى إعطاء حقن لا يعرف نوعيتها أحد للمرضى ..

ثم تأتى الليلة الموعودة ..

الليلة التى يلحق فيها المريض بالنداهة .. عندئذ أبادر أنا أو عامل الوحدة إلى تخديره ونقله إلى هنا .. أى إلى سكن الممرضات الخالى بالوحدة والذى لا يصعد إليه أحد ولا يجروا أحد على تفتيشه ..

- ولماذا لا تخطف من تريد مباشرة وتنتهى؟!

- الفن ..!

قالها بلهجة من يقرر حقيقة لا غبار عليها ..

- الفن يا صديقى .. الفن ...، يجب أن تكتمل جوانب
الأسطورة وتتسق مع بعضها .. ألم أقل لك إننى
عبقرى؟! ..

- وما جدوى كل هذا ؟! .. وما فائدة جمع الفلاحين

كالفراش؟!

ضحك فى سرور .. وهتف :

- هذا هو بيت القصيد .. إن لهذا شطرين .. الشطر
الأول هو استمتاعى الخاص بإحياء قصة الندامة وإفزاز
هؤلاء الناس ، والشطر الثانى هو حاجتى إلى حيوانات
تجارب بشرية لإجراء نوع خاص جدًا من الأبحاث ..
أبحاث هى وليدة قراءتى وعبقريتى ، أبحاث ستؤدى إلى
صنع الإنسان الأعظم .. السوبرمان ..
قلت له فى سخرية :

- لهذا وجدت فى حجرتك كُتب (نيتشه) وكفاحى
(لهتلر) وكل هذه الروايات عن الخيال العلمى .. أنت
تعتقد إذن هذه الأفكار النازية المخبولة ..!
اعتصر سيجارته بين أسنانه وغمغم :

- ليست أفكاراً مخبولة ..، إنها رؤيا خارقة لا يفهمها أمثالك ..، أنت عالم حقا ولديك شهادات علمية لا أعرف حتى كيف أقرأ أسماءها لكنك مجرد صرصور آخر يحرك شواربه في جشع بحثا عن المادة ..
وبصق في اشمزاز :

- صرصور ..!

تجاهلت إهانته التي لا مبرر لها أبداً، وسألته :
- لدى خمسة أسئلة أرجو أن تجيب عليها ..، أنا أعرف أنك متلهف على بدء تجاربك على لگنى لا أريد أن أموت أو أجن وأنا لم أفهم بعد ..
- سل ما تريد ..

- السؤال الأول هو : لماذا جعلتمونى أرى النداهة فى تلك الليلة ؟

ماذا كان سيكون تصرفكم لو أننى هاجمتها ؟!
قال وهو يهرش صلته :

- كان هناك احتمالان .. الاحتمال الأول - وهو الأفضل - كان أن يصيبك الهلع وتفر وتزداد إيماناً بوجود النداهة وهو ما حدث تقريباً ، أما الاحتمال الثانى فكان أنك قد تهاجمها ، وعندئذ كنا سنثب عليك أنا و (صلاح) عامل الوحدة لنحققك ببنتوئال الصوديوم ثم تبدأ معك قصة النداء الغامض ..

أنت نفذت الاحتمال الأول .. إلا أنك اقتربت جدًا من الحقيقة حين رسمت وجه النداهة - أو (عواطف) - بهذه الدقة لهذا أثرنا أن نبدأ معالجتك فورًا .. دست لك (عواطف) مخدرا في الشاي .. ومارست أنا تنويمك مغناطيسيًا بمعونة بنتوثال الصوديوم .. وحين عدت لدارك - بعد ساعتين - كنت قد صرت مسحورًا آخر ينتظر النداء ..

هزرت رأسي علامة على الفهم .. ثم قلت :

- السؤال الثاني : هل لك علاقة باختفاء

(عبد الرازق) ؟ .. الفتى الذى قلت أنا إنه مسعور ؟

- بالطبع لا .. لقد فر الفتى لأنه مصاب بمرض الكلب

وقد وجدوا جثته فى (الرياح) منذ ثلاثة أيام ، لقد أصابته

نوبة هياجية جعلته يفر ويرمى بنفسه هناك ، وطبعًا لم

يجدوه إلا بعد عشرة أيام ...، إننى برىء من دمه ..

- السؤال الثالث : هل حقًا لم تر أخى (رضا) فى بيته

بعد إصابته بمرض النداهة ؟ .. إذن كيف وجدوا مادة

الباربيتورات فى دمه بعد أسبوع من مرضه ؟

ابتسم فى مودة كأنه أستاذ يهنئ تلميذًا مجتهدًا ..

وقال :

- أنت حقًا ذكى .. لم تنس علم الأدوية بعد ، ولم تنس

أن بنتوثال الصوديوم قصير المفعول جدًا وأن أثره فى الدم

يختفى بعد أقل من ساعة من حقنه ... أنت تريد القول إن
هناك من كان يزوره ويحقنه بالبابيتيورات فى الفترة التى
تلت حقننى الأولى ، وهذا صحيح .. لقد كانت (نجاة)
زوجة أخيك تدعونى سرًا لرؤية زوجها وحقنه لأنها لم
تكن تثق فىك البتة وكانت تؤمن أنك - عدم المواخذه -
حمار ..!

- اللعينة ..!

- والآن قل سؤالك الرابع بسرعة ..

- السؤال الرابع هو : كيف تطيعك (عواطف) بهذه

السهولة ؟!

وضع يده على كتفها فى حنان وقال :

- إنها تؤمن بى بشدة ... وتفعل أى شىء أطلبه منها ..

ابتسمت (عواطف) فى فخر ... زوجان سعيدان يحب

أحدهما الآخر ولو لم أكن مقيدًا فى قبضتهما كالذبيحة

لتمنيت لهما الخير ..!

- السؤال الخامس هو : ما نوع التجارب التى تجربها

على هؤلاء التعساء ..؟!

- سؤال جيد .. إننى أحاول صنع الإنسان السوبرمان

لهذا أعرضهم لمؤثرات شتى من الإجهاد الحرارى

والسموم والباكتريا .. إن قوة تحملهم تزداد يومًا بعد

يوم ..! وعما قريب لن يؤذيهم شىء ..

- يا كفة.... يا كتر يا...! لكفك مخبول تمامًا!... إنك تقتل
هؤلاء القصاص ببطء!

قال في كبرياء وهو يرمى سيجارته :

- إن ما لا يقتلني يزيدني قوة..

- وإذا قتلك...؟

- عنئذ أكون أنا إحدى الفضلات التي مرت من مصفاة
الاحتجاب الطبيعي ومن دوني ستكون الحياة أفضل... هكذا
تكلم زرادشت يا عزيزي!!

يا للمعتوه!.. تمنيت في هذه اللحظة لو كان (نيتشه)
أمامي كي أحطم رأسه.. ما أكثر المجانين الذين يزخر بهم
هذا العالم وأنا لا أعترض على وجودهم بشرط ألا يؤدي هذا
إلى إفناء وجودي أنا... شخصية محبطة معقدة تعيش
وحدها في الريف وتقرأ كتبًا مخبولة ليلاً ونهاراً.. فماذا
تكون النتيجة!!؟

انتهت خمسة الأسئلة وحان وقت العمل!..

في صمت - كأنه جلد يمارس عمله التقليدي - أعاد
لصق قطعة البلاستر على فمي، ثم تناول محقناً من
(عطيات)، وأفرغه في وريد ذراعي.. ثم تناول ملفاً
مكتوباً عليه بخط أنيق :

« دكتور (رفعت إسماعيل) - أسناده أمراض الدم (٣٧ سنة) خُطف ١٢ مايو ١٩٦٢ ».

وبدأ يخط فيه عبارات عدة بالإنجليزية... واكتسب وجهه بصبغة رسمية صارمة وهو يصدر تعليماته لزوجته كأنه في مستشفى كبير :

- الحرارة والنبض وضغط الدم وتغيرات الحدة كل ٤ ساعات، الوجبات العادية.. غذا نبدا الإنهاك الحرارى!..!

إنهاك حرارى!..! أن ينتهى هذا الجنون!..! وكيف أمضى حياتى واقفا فى هذا الوضع أنا الذى لاأحتمل الجلوس فى مكان واحد أكثر من ربع ساعة!..! إنه لمازق حقيقى..



بعد أربع ساعات كنت قد انتهيت تماما..
هأنذا مقيد تحت رحمة طبيب مجنون كما يحدث فى الروايات العلمية الرخيصة.. المشكلة أننى لم أتخيل نفسى أبدا فى هذا الموقف.. والمشكلة الثانية هى أن البطل - فى هذه الروايات - يهرب دائما فى آخر فرصة.. فكيف أهرب أنا!..!

طبعاً لا جدوى من محاولة الاستغاثة أو إلقاء معصمى بشدة القيد لأن من سبقونى - بالطبع - قد حاولوا كل هذا

وفشلوا... ولا جدوى من أن يبحث عنى أحد فى القرية
لأن اللعين أجاد حيك قصته ، وهم لا يشكون فى أن النداهة
قد افترستنى أنا وأخى ..

فُتح الباب ودخلت (عواطف) واتجهت نحوى ، وفى
برود تفحصت حدقة عينى ثم وضعت ترمومترًا تحت إبطى
ولفت جهاز الضغط حول ذراعى .. وعنت نبضى ، ثم إنها
قرأت الترمومتر ، واستدارت لتتصرف فناديتها بقدر ما
استطعت خلف البلاستر ..

- (عواطف) ! ألا تفهمين ما الذى سيقودك إليه هذا
المعتوه ؟

- ماذا ؟

- السجن أو ما هو أسوأ ..! فكرى فى ذلك .. لم تزل
لديك فرصة ..

فكرت حينًا بوجه مفلق .. ثم إنها قالت وهى تهز كتفها
وتعيد تثبيت البلاستر :

- هذا ليس من شأنك ..!

وتركتنى وانصرفت ..!



وجاء الليل ..

عادت (عواطف) حاملة إناء كبيرًا به عشاؤنا ..
وشرعت تدور على الأسرى واحدًا واحدًا تنس فى لعمه

ملعقتين أو ثلاثًا من هذه المادة الهلامية المقرفة ثم تتركه
يمضغ بشكل ميكانيكى وتذهب لآخر... وجاء دورى !
رفعت البلاستر من على فمى ..
كلا !.. لن آكل من هذا الشيء !، ولن يكون فمى هو
الخامس بعد هذه الأفواه !..

- ألن تأكل !؟

سألتنى فى فظاظه ، فقلت لها دامعا وأنا أشعر بأننى
مظلوم إلى حد لا يوصف :
- لا .. لا..!

- كما تريد .. عندما تموت جوعًا ستتوسل من أجل
هذا !..

وهنا خطرت لى فكرة .. الوتر الوحيد الذى يمكن أن
ألعب عليه هو مشاعر الأنثى .. أنا لا أفهم المرأة تمامًا ولو
كنت أفهمها لكنت متزوجًا منذ عشر سنوات لكننى أعرف
عنها صورة ضبابية من قراءاتى ؛ لهذا قررت أن أستغل
ما أعرف :

- (عواطف) !.. هل أنت واثقة أن د. (عاصم)
يحبك ..؟

- ماذا تعنى ؟

- أعنى .. هل هو يستحق كل تضحياتك من أجله !؟

تفكرت حيناً بوجه مفلق .. ثم هزت كتفيها وأعادت
تثبيت البلاستر قائلة وهي تتصرف :
- هذا ليس من شأنك !



بعد أربع ساعات عادت لتأخذ علاماتي الحيوية ، فقلت
لها :

- (عواطف) ..! اسمعيني لحظة واحدة ..

- هم م م ؟

- إن الدكتور (عاصم) لا يحبك .. بل هو يرى أن
زواجه منك أحد أسباب كراهيته لهذا المجتمع .. أنت
إحدى علامات هزيمته وهو لن يغفر لك هذا ..

نظرت في عيني بوحشية وهمست بفحيح الأنفى :
- احرص !

- ولماذا يمنع رجل ناضج زوجته من أن تتأديه باسمه
المجرد ؟ .. إنه يخل منك ..

- هذا ليس من شأنك ! ..

قالتها وهي تهز كتفيها .. وأعادت لصق البلاستر
وتركتني وانصرفت ! ..



فى موعد الإفطار عدت أمارس لعبتى الخطرة ..
- ألم تتصفحى أبداً كراسة مذكراته ؟!
قالت فى كبرياء وهى تفس الملقة المشنومة فى
فمى :

- الزوجة المحترمة لا تتجسس على زوجها .. أبداً ..
قلت وأنا أمضغ ذلك الخليط الكريه من مواد مرّة
وسكرية ومالحة :

- إنه فى العيادة الآن .. هلا صعدت إلى غرفته وقرأت
مذكراته ؟ .. أنا رأيته .. وجدت بها قصائد شعر ورسوماً
وحديثاً عن فتيات كثيرات أحبهن قبلك ..
- لا أصدق ..

- أمامك الكراسة .. وهو لا يخفيها على ما أظن ..
- هذا ليس من شأنك ..!

قالت وهى تهز كتفها .. لكنها فى هذه المرة لم تعد
لصق البلاستر قبل أن تتصرف !



وبعد ربع ساعة عادت لى والدموع فى عينيها وثمة
شئ ما فى قبضتها .. وصاحت وهى تتهانف وأنفها
يميل :

- ذلك السافل ..! الملعون !

آه!.. هل أصابت رميتى إلى هذا الحد؟.. يالى من
داهية..

- أنه لم يتزوجنى إلا لأنى أشبه حبيبته الأولى..

- ألم أقل لك؟

- والأدهى أنه كتب فى مذكراته أننى لا أشبهها إلا فى
الملامح لأنى غبية جاهلة وثقيلة الظل... وأن ما أفعله من
أجله لا يزيده إلا تشبهاً بالأخرى.. ذلك الكاذب المخادع!..
قلت لها وقد شعرت بقلبي يتمزق بالفعل من أجلها:

- حاولى أن تنسى... فكل الرجال لهم حب أول..

وهنا مدت يدها فى عصبية بالشئ الذى كانت تخفيه..
فتاح صغير صدئ أولجته فى قفل القيود وشرعت تفكها
فى جنون وهى تصيح:

- والآن اذهب عليك اللعنة!.. اذهب واخرب بيتنا أنا
وهو، فلم أعد أعبا بشئ.. هيا.. اذهب عليك اللعنة قبل
أن أحطم رأسك!

وللحظة لم أصدق أننى تحررت.. كانت أطرافى
متصلبة.. وكدت أن قط أرضاً لكن نظرة واحدة لعينها
الناريتين جعلتنى أطلق ساقى للريح..

أخيراً!.. الشمس والهواء، ولأول مرة منذ
أسبوعين..



استغرق الأمر ساعتين كي أحضر بعض رجال الشرطة
من المركز ليداهموا الوحدة ، وكنت قد ارتديت ثيابي
وحدائي ووضعت مسدسي في جيبى ، ودخل رجال الشرطة
سكن الممرضات فوجدوا الضحايا الأربعة مقيدين كما
وصفتهم ..

ثم قرعوا باب سكن الطبيب مراراً فلم يرد أحد .. تعاون
اثنان منهما ضخماً الجثة على تهشيم الباب ، ودخلنا
الغرفة .. وكانت كما هي لم يتغير فيها شيء .. إلا أن من
دخل غرفة النوم عاد لنا ووجهه ممتنع قائلاً :
- إنها هنا ..

وعلى الفراش كانا .. هي ساقطة على ركبتيها ووجهها
مدفون في الملاءة كأنها تبكي بينما هو راقد على ظهره
مفتوح العينين ونظرة ذاهلة ترمى السقف .. وعلى
الأرض انتشرت أقراص (الدونوليز) .. لقد تناولوا جرعة
قاتلة من دواء السكر أدت لقتلها على الفور .. لربما
أرادت هي أن تموت معه ولربما أجبرها هو لأنه لم يستطع
أن يهرب (وأين يهرب) ولم يستطع أن يظل حياً ليواجه
غضب أهل القرية وصرامة القانون وسخرية الدهماء ..
وجواره على الفراش كان كتاب (كفاحي) لهتلر ملقى
في إهمال ..

قلت في شرود ولقد بخ صوتي من الرهبة :
- لقد أراد أن ينتحرا مثل (هتلر) و (إيفابراون) عندما
غزا الحلفاء برلين ..! نفس المشهد الأليم .. ونفس
الظروف!

التفت إلى رجل الشرطة الواقف جوارى سائلا :
- انتحرا مثل من يا فتدي ؟!
لا يبدو لي أن أحدهم سيفهم ... لن يفهموا مهما قلت
أبدا ..!
نهاية مأساوية لكنها أفضل نهاية ممكنة ..



خاتمة ..

فى مستشفى الجامعة بالقاهرة أكد لى الأطباء مراراً أن
أخى (رضا) بخير وسينجو ، وقد احتاجوا لنقل الدم له
مرتين وأجروا له غسيلاً بريتنونيا لإزالة ما نخل جسده من
سموم ... وقد ظلت أمى وأختى جواره طيلة الوقت وقد
سرهما ما بدا عليه من علامات الشفاء الأكيد ..

أما (نجاه) - تلك الأفعى القاسية - فقد شكرت الأطباء
كثيراً ولم تكلف خاطرهما بتوجيه كلمة شكر واحدة لى ،
وعلى كل حال فأننا لم أفعل سوى واجبى نحو أخى ولا أحتاج
شيئاً خاصاً منها ..

شيء واحد أثار حزنى ، هو أن زملائى لم يستطيعوا أبداً
إنقاذ (الزغبى) لأن تجارب (المرحوم) كانت قد وصلت
معه إلى طريق بلا رحمة ، أما عن (سعيد جابر) فقد
استعاد لياقته ، وعاد (إبراهيم السقا) يحلم ويستمتع
بالربيع والزهور .. أما أجمل شيء فهو أن أسطورة النداهة
قد انتهت لعدة أجيال ولن تعود إلا لصورتها القديمة ..
مجرد أغنية ترعب بها الجدات أحفادهن قبل النوم لمجرد
التلذذ برؤية الهلع فى عيونهم البريئة المتسعة !!

ولمدة أسبوعين كاملين استمتعت بوجود امرأتين فى
بيتى بالدقى - أمى وأختى - فعاد النظام والنظافة ، وعدت

أكل جيدًا وألبس جيدًا وأنام جيدًا وازداد وزنى عدة
كيلوجرامات ..

وعند الرحيل توصلت لى أمى أن أذهب معها للقريبة كى
أعيش هناك للأبد .. لكنى هزرت رأسى فى يأس ... لن
أستطيع أن أتخلى عن مهنتى أبدًا ولن أفارق الجامعة ؛
طلبت منى - على الأقل - أن أتزوج سريعًا كى تظنمن على
فى وحدتى .. فوعدتها أن أفعل ذلك بمجرد أن أعود من
مؤتمر أمراض الدم الذى سيعقد فى أسكتلندا بعد ستة
شهور ..

ودعتهما هما وأخى على المحطة ... ثم عدت لدارى
الخواوية وقد أدركت تلك الحقيقة المروعة : لقد انتهت
إجازتى ولن يسمح لى العמיד بيوم آخر وإلا كان فى ذلك
خراب بيتى ! ..

حتى ساعات راحتى صارت أكثر توترًا وانهماكًا من
ساعات عملى !

والآن وقد انتهت قصتى مع الأشباح حان الوقت
لأحظى بحياة طبيعية لكنى لم أكن أعرف أننى سألقى
شيطانًا من نوع آخر فى مكان آخر يطير كل احتمال للراحة
من حياتى .. ولكن هذه قصة أخرى .

د . رفعت إسماعيل

القاهرة فى مارس ٩٢

[تم بحمد الله]

روايات مصرية للجيب



ثقافة الغد .. لشباب اليوم

بقاعة من القصص والروايات
المصرية قمة فى التشويق والإثارة



- ٨ - تحقيقى
- ٩ - الزائر الغامض
- ١٠ - الفارس
- ١١ - ثمن الصداقة
- ١٢ - العنقاء
- ١٣ - جزيرة القدر
- ١٤ - نداء الأعماق
- ١٥ - التجربة الرهيبة

- ١ - النبوءة
- ٢ - سيف العدالة
- ٣ - البديل
- ٤ - بدوية
- ٥ - لعنة البحر
- ٦ - ملك الجريمة
- ٧ - سر القصر

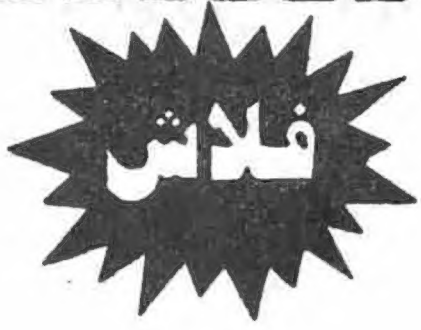
روايات مصرية للجيب

سلسلة **نونا** للخيال العلمى

قصص من عوالم الغد



- ١ - غزو من عالم آخر
- ٢ - الإنسان الآلى القاتل
- ٣ - أشباح فى الفضاء
- ٤ - رعب تحت المجهر
- ٥ - سر كتاب الموتى
- ٦ - الحب المستحيل



صدر من سلسلة بقلم وريشة خالد الصفتى

- ١ - سر عقدة هرقل .
- ٢ - سر جمعية الصبار .
- ٣ - سر الطبق الطائر .
- ٤ - سر الصفقة الفاسدة .
- ٥ - سر اختفاء السفينة .
- ٦ - سر الصندوق .
- ٧ - سر العروس الفاتنة .
- ٨ - سر العداد .
- ٩ - سر العنكبوت .
- ١٠ - سر النقطة .
- ١١ - سر اختفاء المجوهرات .
- ١٢ - سر الأنغام الصامتة .
- ١٣ - سر الميراث .
- ١٤ - سر انهيار هرقل .
- ١٥ - سر اللص الهلامى .
- ١٦ - سر الرسالة الحائرة .
- ١٧ - سر الوصية .
- ١٨ - سر الرجل الفهد .
- ١٩ - سر اللص المزدوج .
- ٢٠ - سر الرحلة الغربية .
- ٢١ - سر اللعبة الغامضة .
- ٢٢ - سر الحريق المروع .
- ٢٣ - سر المعرض .
- ٢٤ - سر مباراة القمة .